www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مجلة المورد العراقية عدد خاص عن العلامة الأثري

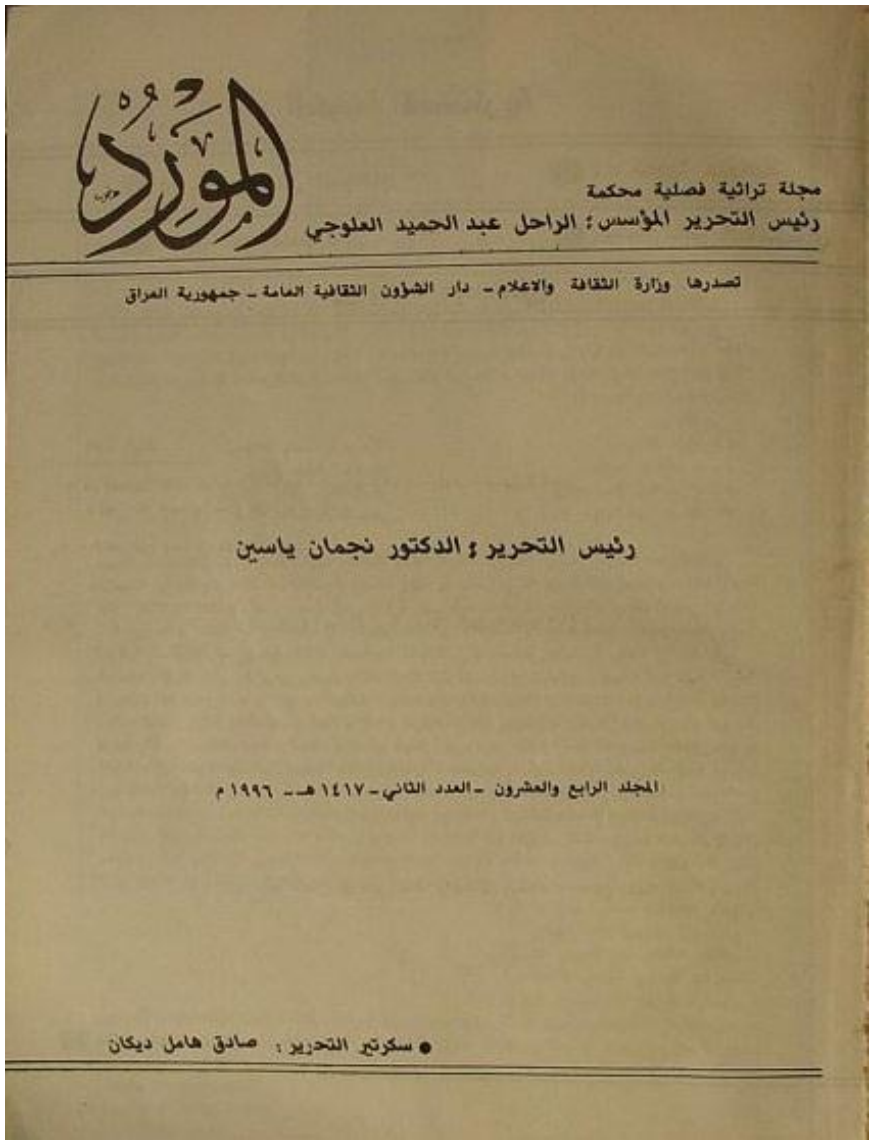

سيرة العلامة الأثري بقلمة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

سيرة العلامة الأثري بقلمه(*)

انا انسان كبقية الاناسي من البشر، غير انني اشعر بأن انسانيتي هذه لاتكمل ولن تكمل إلا باشياء كثيرة من الدرس والبحث والعمل والانتاج والتفاعل مع الحياة وطلب الخير للناس. ثم لنفسي ـ اقدم الناس على نفسي، لان همومهم هي ماتهمني. اما امر نفسي فهذا امر هين، وكل ماأريد لها، هو تمهيد لمن احب ان اوصله الى غيري من الخير والمنافع في هذه الحياة ـ فالانسان خيال عابر في هذه الحياة، فمن وفق وهدي الصراط المستقيم(الصراط الذي يقود الى الحق والخير) فقد فاز بجنات النعيم. انا كفيري انسان، ولكنني لااشعر بأن انسانيتي هذه تكمل، ولن يكون لها شان عالم ارفدها بجميع روافد المعرفة والعلم، بقدر ماأستطيع، وبقدر مايتفسح لي من الوقت ومن القدرة والطاقة ... والتحدث عن النفس شيء صعب، صعب جداً، لانه قد يشعر احياناً، ان المتحدث انما يكاد ينصف بكلامه بشيء من الانانية، ومن التفاخر والتظاهر وهذا اكره ماأكرهه من امور الحياة، الانانية انسان يعمل لنفسه ولايريد الخير لغيره كالطائفي الذي ينحاز الى جماعة ضيقة بعينها، ويحاول ان يسوق اليها وحدها الخير، فيتعصب لها بالحق والباطل، ويحاول جهد طاقته ان يحرم البقية من هذا الخير، فيهدم نفسه ويهدم كيان المجتمع، هذا هو تفكيري الذي اهتديت اليه في سن مبكرة، ومازالت الأيام تزيدني ايماناً بصحة هذه النظرة.

وكل مافي الأمر، انني وقفت منذ الصبا، وبفضل من توجيه والدي، فقد كان حريصاً اشد الحرص على ان اكون شيئاً ما في المجتمع، فحرص على تعليمي اي علم كان، اي نوع كان، ولذلك تراني قد سلكت مسالك متعددة في صباي، في الدراسة والمعرفة، وقد كان لاضطراب الزمن يومئذ اثر فعال في تنوع دراستي وثقافتي وهي اكتملت هنا وهناك، ثم لم تكتمل بي الا بعد دخولي في سن المراهقة خطوة اكثر نحو الناحية العربية الاسلامية التي تقوم عليها بنية مجتمعنا ... من هنا استقرت دراستي على شيء معين، وهو هذه الدراسة العربية الاسلامية، وانصبت اول مانصبت على اللغة العربية وعلومها وآدابها، وهي فروع كثيرة، لانها هي، المكون الأول للثقافة، واللغة هي الوعاء الذي يحمل الفكر والعقيدة ويحمل الفلسفة والسياسة، والمدرسةالتي انتميت اليها (العربية الاسلامية) كانت تشعر شعوراً عميقاً بمدى هذا التفاعل، بين هذه اللغة وجميع شؤون الحياة، كان هذا شيئاً خطيراً في نفسي، فانصببت انصباباً عجيباً فكنت الفني من اليوم مالايقل عن اربع عشرة ساعة في الدرس، حتى كاد بصري يذهب من شدة اتصالي بالكتب والتعمق فيها، من هنا كانت النقلة الثانية الى دراسة العلوم الاسلامية.

انا مازلت في البداية ـ وكنت كلما توغلت في الدرس، اخرج بنتيجة، هي ضرورة التعمق والتوسع والاستقصاء في جوانب المعرفة مااستطعت الى ذلك سبيلاً، وكلما تقدم بي العمر في هذه الدراسة الطويلة، وكثرت دراساتي، اشعر انني امام بحر لجي بعيد الآفاق، ليس له حدود، وانني مازلت في الساحل ـ انا طالب علم، وطالب العلم نهم لايشبع!

(*) وهذه السيرة وجوانب اخرى من حياته مولفة بقلم الباحث حميد المطيعي.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الاسم والنسب

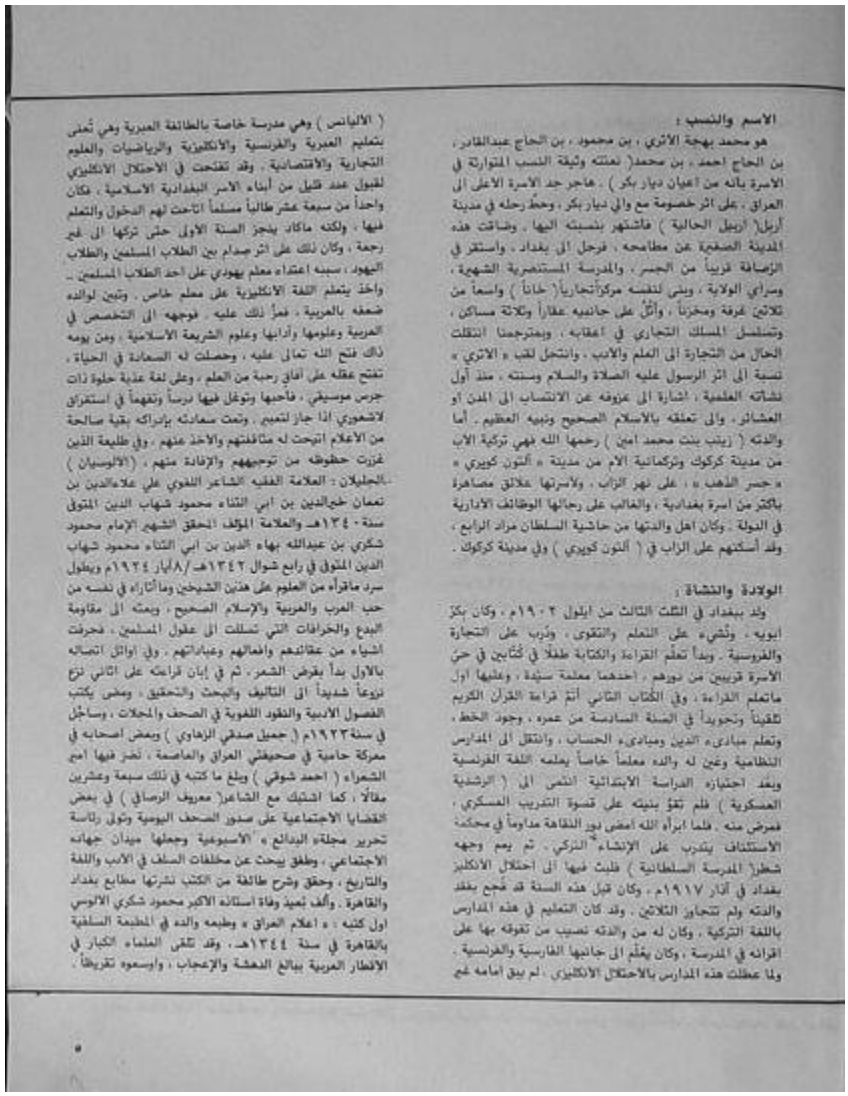

الاسم والنسب :

هو محمد بهجة الأثري ، بن محمود ، بن الحاج عبدالقادر ، بن الحاج احمد ، بن محمد(نعتته وثيقة النسب المتوارثة في الأسرة بانه من اعيان ديار بكر) ، هاجر جد الأسرة الأعلى الى العراق ، على اثر خصومة مع والي ديار بكر ، وحطّ رحله في مدينة أربل(أربيل الحالية) فاشتهر بنسبته اليها . وضاقت هذه المدينة الصغيرة عن مطامحه ، فرحل الى بغداد ، واستقر في الرصافة قريباً من الجسر ، والمدرسة المستنصرية الشهيرة ، وسراي الولاية ، وبنى لنفسه مركزاً تجارياً(خاناً) واسعاً من ثلاثين غرفة ومخزناً ، وأثّل على جانبيه عقاراً وثلاثة مساكن ، وتسلسل المسلك التجاري في اعقابه ، وبمترجمنا انتقلت الحال من التجارة الى العلم والأدب ، وانتحل لقب « الاثري » نسبة الى اثر الرسول عليه الصلاة والسلام وسنته ، منذ أول نشأته العلمية ، اشارة الى عزوفه عن الانتساب الى المدن أو العشائر ، والى تعلقه بالأسلام الصحيح ونبيه العظيم . أما والدته (زينب بنت محمد امين) رحمها الله فهي تركية الأب من مدينة كركوك وتركمانية الأم من مدينة « آلتون كوبري » « جسر الذهب » ، على نهر الزاب ، ولأسرتها علائق مصاهرة بأكثر من اسرة بغدادية ، والغالب على رجالها الوظائف الادارية في الدولة . وكان اهل والدتها من حاشية السلطان مراد الرابع ، وقد أسكنهم على الزاب في (آلتون كوبري) وفي مدينة كركوك .

الولادة والنشأة :

ولد ببغداد في الثلث الثالث من ايلول ١٩٠٢م ، وكان بكر ابويه ، ونشيء على التعلم والتقوى ، وتدرب على التجارة والفروسية . وبدأ تعلّم القراءة والكتابة طفلاً في كُتّابين في حيّ الأسرة قريبين من دورهم ، احدهما معلمة سنية ، وعلمها اول ماتعلم القراءة ، وفي الكتاب الثاني أتمّ قراءة القرآن الكريم تلقيناً وتجويداً في السنة السادسة من عمره ، وجود الخط ، وتعلم مبادىء الدين ومبادىء الحساب ، وانتقل الى المدارس النظامية وعين له والده معلماً خاصاً يعلمه اللغة الفرنسية وبعد اجتيازه الدراسة الابتدائية انتمى الى (الرشدية العسكرية) فلم تقوَ بنيته على قسوة التدريب العسكري ، فمرض منه . فلما ابرأه الله امضى دور الثقافة متأدباً في محكمة الاستئناف يتدرب على الإنشاء التركي . ثم يمم وجهه شطر(المدرسة السلطانية) فلبث فيها الى احتلال الانكليز بغداد في آذار ١٩١٧م ، وكان قبل هذه السنة قد نجح بفقد والدته ولم تتجاوز الثلاثين . وقد كان التعليم في هذه المدارس باللغة التركية ، وكان له من والدته نصيب من تفوقه بها على اقرانه في المدرسة ، وكان يقلّم الى جانبها الفارسية والفرنسية . ولما عطلت هذه المدارس بالاحتلال الانكليزي ، لم يبق امامه غير (الأليانس) وهي مدرسة خاصة بالطائفة العبرية وهي تُعنى بتعليم العبرية والفرنسية والانكليزية والرياضيات والعلوم التجارية والاقتصادية . وقد تفتحت في الاحتلال الانكليزي لقبول عدد قليل من أبناء الاسر البغدادية الاسلامية ، فكان واحداً من سبعة عشر طالباً مسلماً اتاحت لهم الدخول والتعلم فيها ، ولكنه ماكاد ينجز السنة الأولى حتى تركها الى غير رجعة ، وكان ذلك على اثر صدام بين الطلاب المسلمين والطلاب اليهود ، سببه اعتداء معلم يهودي على احد الطلاب المسلمين . واخذ يتعلم اللغة الانكليزية على معلم خاص . وتبين لوالده ضعفه بالعربية ، فمالَ ذلك عليه . فوجهه الى التخصص في العربية وعلومها وآدابها وعلوم الشريعة الاسلامية ، ومن يومه ذاك فتح الله تعالى عليه ، وحصلت له السعادة في الحياة ، تفتح عقله على آفاق رحبة من العلم ، وعلى لغة عذبة حلوة ذات جرس موسيقي ، فأحبها وتوغل فيها درساً وتفهماً في استغراق لاشعوري اذا جاز لتعبير . وتمت سعادته بإدراك بقية صالحة من الأعلام اتيحت له مثافتهم والاخذ عنهم ، وفي طليعة الذين غرزت حظوظه من توجيههم والإفادة منهم ، (الآلوسيان) الجليلان : العلامة الفقيه الشاعر اللغوي علي علاءالدين بن نعمان خيرالدين بن ابي الثناء محمود شهاب الدين المتوفى سنة ١٣٤٠هـ والعلامة المؤلف المحقق الشهير الإمام محمود شكري بن عبدالله بهاء الدين بن ابي الثناء محمود شهاب الدين المتوفى في رابع شوال ١٣٤٢هـ/٨/أيار ١٩٢٤م ويطول سرد ماقرأه من العلوم على هذين الشيخين وما أثاراه في نفسه من حب العرب والعربية والإسلام الصحيح ، وبعثه الى مقاومة البدع والخرافات التي تسللت الى عقول المسلمين ، فحرفت اشياء من عقائدهم وافعالهم وعباداتهم . وفي اوائل اتصاله بالاول بدأ يقرض الشعر ، ثم في إبان قراءته على الثاني نزع نزوعاً شديداً الى التأليف والبحث والتحقيق ، ومضى يكتب الفصول الأدبية والنقود اللغوية في الصحف والمجلات ، وسأجّل في سنة١٩٢٣م (جميل صدقي الزهاوي) وبعض اصحابه في معركة حامية في صحيفتي العراق والعاصمة ، تحز فيها امم الشعراء (احمد شوقي) وبلغ ما كتبه في تلك سبعة وعشرين مقالاً ، كما اشتبك مع الشاعر(معروف الرصافي) في بعض القضايا الاجتماعية على صدور الصحف اليومية وتولى رئاسة تحرير مجلة« البدائع » الأسبوعية وجعلها ميدان جهاده الاجتماعي ، وطفق يبحث عن مخلفات السلف في الأدب واللغة والتاريخ ، وحقق وشرح طائفة من الكتب نشرتها مطابع بغداد والقاهرة . وألف بُعيد وفاة أستاذه الاكبر محمود شكري الآلوسي اول كتبه : « اعلام العراق » وطبعه والده في المطبعة السلفية بالقاهرة في سنة ١٣٤٤هـ . وقد تلقى العلماء الكبار في الأقطار العربية ببالغ الدهشة والإعجاب ، واوسعوه تقريظاً .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

حياته العلمية

حياته العلمية :

درّس العربية والأدب في ثانوية التفيض الأهلية سنة واحدة (١٩٢٤ ، ١٩٢٥) ندبته وزارة المعارف على اثرها للتدريس في (الثانوية المركزية) المدرسة الثانوية المركزية الوحيدة في بغداد . فقدّم فيها العربية وتاريخ الأدب العربي وعلم الأخلاق لعشرة اعوام .

وفي ربيع السنة الـ ١٩٣٦م أوفده رئيس الوزراء الزعيم ياسين باشا الهاشمي الى مصر لدرس اوضاع الأوقاف وتعرّف نظم الأزهر ومعاهده وعقد الصلات مع مشيخته وكانت رئاستها الى الشيخ الأكبر محمد مصطفى المراغي . فاضطلع بالمهمة ، والقى من رؤساء الأوقاف ومشيخة الأزهر وعمداء معهده وشيوخه ترحيباً حاراً وتقديراً بالغين ، وزار في اثناء الشهر الذي قضاه في القاهرة ، طنطا والإسكندرية ، للوقوف على نظم التعليم في معهدي الأزهر فيهما ، وشارك في الوقت نفسه بقرار من رئيس الوزراء وفد (الطلاب العراقيين) و(وفد النواب) اللذين اوفدهم لتوثيق الروابط بمصر ، خطيباً وشاعراً منشداً في حفلات الترحيب ، ومحاوراً في الصحف في شؤون السياسة العربية وأجمل خلاصة اختباره وافكاره الإصلاحية في تقرير واسع رفعه الى رئيس الوزراء فما لبث ان عهد اليه مديرية أوقاف منطقة بغداد في تموز ١٩٣٦م ليقوم بتنفيذ الأصلاح الذي رسمه للأوقاف ولكلية الإمام ابي حنيفة النعمان بن ثابت لكنه ماكاد يمضي في التنفيذ حتى طوّح انقلاب عسكري بالوزارة الهاشمية في ٢٩تشرين الأول ١٩٣٦م فلبث الى صيف ١٩٣٧م يدير الأعمال على النحو التقليدي ، ويرم من جملة الوضع السياسي ، وفجع بثاني ولديه(محمّد) ولم يكمل عاماً فسافر الى دمشق ومعاليها ليستجم من العناء والحزن ، وحدث وهو في دمشق انقلاب عسكري مضاد ، فعاد الى بغداد وطلب من رئيس الوزراء اليه الأشراف المباشر على الأوقاف ان يعيده الى خدمة العلم فعهد اليه كرسي المفتش الأختصاصي بديوان وزارة المعارف ولما قامت ثورة الجيش والشعب على الأنكليز والحكم الملكي في أيار ١٩٤١م شارك فيها بشعره حتى إذا اخفقت وتغلب الإنكليز ، كان الثوار هدفاً للمطاردة والتنكيل إلا ان السيد جميل المدفعي رئيس الوزراء لزم جانب التسامح مع الأدباء والشعراء ورفض التنكيل بهم فاسقطوا وزارته وجاؤوا بنوري سعيد الى دست الرئاسة فبادر من اول يومه بالبطش بالأحرار وفصله من الوظيفة مدة خمس سنوات ونفاه في الرعيل الأول وكانوا اربعين نافراً ، في منتصف ليلة ٣٠ تشرين الأول ١٩٤١م الى معتقل الفاو في اقصى الجنوب سجيناً بين السباخ والمستنقعات وكاد يهلك من رداءة الجو فنقل الى معتقل سامراء ثم الى معتقل العمارة وكانت جملة ايامه في هذه المعتقلات ثلاث سنين محرمات ، خرج بعدها في ٢٧ ايلول ١٩٤٤ مريضاً علّ الله أفاد من الشر خيراً كثيراً .. افاد معرفة الطبائع وسلوك طبقات الناس المختلفة .

وعكف يتدارس الفارسية والانكليزية والالمانية ، على قدر الأستطاعة ، واقرأ بعض المثقفين من المعتقلين النحو والمنطق ، واستغرق في الصلاة وقراءة القرآن الكريم . ولما أطلق من معتقله مضى يصلب عزماً وجهاداً في اعماله الأدبية والأجتماعية ، والكتابة في الصحف والمجلات والخطب في الأحتفالات الدينية ، وخص فلسطين بقسط كبير من الخطب والقصائد بعيداً عن الوظائف سبع سنوات لم يحن فيها لاحد . ثم فرضت الظروف السياسية تغيير بعض الحال ، فعُين عضواً في (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٨ / ٢ / ١٩٤٧م ، ثم صدرت(ارادة ملكية) على غير علم منه بإعادته الى وظيفته السابقة في ديوان وزارة المعارف ترفيعاً درجتين ، رقم الأرادة ٢٣٩ ، وتاريخها ٥ / ٤ / ١٩٤٨م ، وحولت لجنة التأليف والترجمة والنشر في سنة ١٩٤٧م الى مجمع علمي فانتخب من جملة الأعضاء العاملين ، وعددهم عشرة ، وفي سنة ١٩٤٩م انتخبه الزملاء نائباً لرئيسه ثم نائباً اول له في ١٩٥٥م واشرف على تحرير مجلته سبع سنوات وشارك في وضع جميع المصطلحات العلمية والفنية والحضارية التي انصرف المجمع الى الأشتغال بها الى سنة ١٩٦٣م . وعند انشاء(المجمع الموحد) في نيسان١٩٧٩م صدر مرسوم جمهوري كُرم بتعيينه عضواً عاملاً فيه وعُين مقرراً للجنة اللغة العربية وعضواً في عدة لجان وطفق ينشر البحوث النقدية في مجلته ، وندب في ١٩٥٠م لتدريس الأدب وفلسفة الأخلاق في كلية الشرطة الى جانب اعماله في وزارة المعارف والمجمع . ومُنح درجة الأستاذية بإرادة ملكية الرقم ٧٤ التاريخ ١٨ / ١ / ١٩٥٠م وانتخب في ١٩٥٣م عضواً في مجلس شورى الأوقاف ، وجُدد انتخابه في ١٩٥٥م فلما قامت الجمهورية في ١٤ تموز ١٩٥٨م اصدر مجلس السيادة مرسوماً بتعيينه(مديراً عاماً للأوقاف)مرتبطاً برئيس الوزراء وبقي في هذا المنصب الى اوائل ١٩٦٣م ، وقد واتاه الحظ السعيد ان ينفذ ويحقق ماكان أعده من خطط إصلاح الأوقاف في سنة ١٩٣٦م . فاقام العمارات وانشأ المدارس وعمر المساجد وزاد ميزانية الأوقاف حتى جاوزت الضعف ، ونقل لأول مرة في التاريخ الزيارة المغربية الأندلسية الأصل الى مشرق الوطن العربي في جامعين ببغداد : جامع الأمام ابي حنيفة وجامع ١٤ رمضان . وكان تخلصه من قيود الوظائف نهائياً مصدر خير وبركة له اتاح له الأنصراف التام الى البحث والتأليف والتحقيق وقرض الشعر وإن لم تكن اعماله التفتيشية والأدارية من قبل سارفة إياه عن شيء من ذلك .[1]

[1] وعُين مديراً في لجنة (من ابن لك هذا) لمحاسبة رجال العهد الملكي من رؤساء الوزارات والوزراء ، ورؤساء مجلسي الأعيان والنواب ، والأعيان والنواب وكبار الموظفين

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حياته الاجتماعية والعلمية

حياته الاجتماعية والعلمية :

حفلت حياته الاجتماعية والعلمية بكثير من التوفيق والخير ، فضلاً عليه من الله جاءه على قدر وسدد خطاه وفاقاً لنياته الخالصة .

في الجانب الاجتماعي يُذكر له انه اسس في آخر سنة ١٩٢٨م(جمعية الشبان المسلمين) ، وقد اقتبس نظامها من نظام جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة التي زارها في صيف ١٩٢٨م وراقه نشاطها وتوجيهاتها الاخلاقية وقد امتد نشاط هذه الجمعية فأسست فرعاً في البصرة ، وآخر في الموصل ، وثالثاً في خانقين ، ولكن هذا لم يتم قيامه إذ فرق الانكليز اعضاءه ، وكانوا من الموظفين في الدولة او في شركة النفط ، وقد فصلوا بعضهم من وظائفهم ، وكان وقع ذلك شديداً عليه ، واصدر للجمعية مجلة علمية باسم (مجلة العالم الاسلامي) دامت سنتين ، واصدر فرع الموصل مجلة خاصة ، كذلك فعل فرع البصرة . وانشأ مع بعض الوطنيين (جمعية المنسوجات الوطنية) في سنة ١٩٣٠م وانشد في حفل افتتاحها قصيدة رائية ، وهي مثبتة في ديوان « ملاحم وازهار » . وانتخب عضواً في (جمعية الطيران العراقية) ، وعضواً مؤسساً لمشروع الفلس الذي رأسه وزير الداخلية السيد ناجي شوكة ، وعضواً في(الجمعية الخيرية الاسلامية) لرعاية الايتام وتعليمهم الصناعات ، وعضواً في(جمعية الدفاع عن فلسطين) ...

الجانب العلمي :

شارك مشاركة جادة في الكتابة الادبية والاجتماعية ، ولم يُخلِ كتاباته من مقالات سياسية غير قليلة ، وساند بالكتابة في الصحف الجمعيات التي لم يتسع وقته للعمل فيها ، وكتب الفصول الطوال في الأدب واللغة والاجتماع والسير والّف ، وحقق كثيراً من الكتب وسيأتي ذكرها في موضعها . ومنذ ١٩٧٠م وهو يلي جامعة بغداد فيما تسترليه فيه وترغب اليه في قراءته من الاطروحات الأدبية واللغوية التاريخية التي يقدمها طلاب شهادة « الماجستير » وشهادة « الدكتوراه » ودعته الى المجالس التي تعقدها لمناقشة هؤلاء ومنحهم الشهادة التي يستحقونها ، كما تطلب اليه كذلك تقويم الدراسات الادبية واللغوية والتاريخية التي يقدمها حملة شهادة « الدكتوراه » للتعضيد .

والى جانب هذه الاعمال تذكر اعماله في (المجامع اللغوية) في العراق وخارجه . وقد جاءه التقدير الأول من المجمع العلمي العربي بدمشق بانتخابه بالاجماع « عضواً مراسلا » في ١٩٣١م خلفاً لاستاذه محمود شكري الالوسي ، وهو دون الثلاثين من عمره ، ولم يبلغ السن القانونية المشروطة للعضوية ، تقديراً منه لمواهبه وعلمه وادبه . وقد نشر في مجلته من قبل بلوغه ذاك وبعده بحوثاً غير قليلة في النقد اللغوي والأدب ورسائل علمية واشعاراً ونوادر للاولين . وفي ١٩٤٨م ضمه « مجمع اللغة العربية » بالقاهرة اليه« عضواً مراسلاً » ثم صدر في ١٩٦١م مرسوم جمهوري بتعيينه« عضواً عاملاً » وقد حضر مؤتمراته السنوية الا القليل منها لظروف قاهرة وشارك الرأي في بحوثه ومصطلحاته في مختلف العلوم والفنون وقدم اليه بحوثاً مبتكرة غير قليلة ، كان اولها في اول مؤتمر حضره في ١٩٦٢م بحثه« الآلة والاداة في ضوء عبقرية العربية ومطالب التمدن الحديث » ، نقد فيه بحث اسماء الآلة في كتب النحو ودعا الى اضافة اوزان قياسية جديدة الى الأوزان الثلاثة المعروفة في كتب النحو ، منذ وضع النحو العربي الى اليوم ، فكان محور أخذ ورد طويلين انتهيا الى اتخاذ المجمع قراراً بما دعا اليه ، وأوصل اوزان الآلة الى سبعة .

وفي اوائل ١٤٠٠هـ ، ١٩٨٠م انتخبه مجمع اللغة العربية في الاردن ، المؤسس حديثاً (عضواً مؤازراً) كما انتخبته في الوقت نفسه (الاكاديمية المملكة المغربية) (عضواً مشاركاً) للكرسي الفرد الذي خصصته للعراق ، وتلقى من الملك الحسن الثاني ظهيره الملكي بتأييده هذا الانتخاب وإبرامه له ، واختاره الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود في ١٣٨١هـ ، ١٩٦١م عضواً في(المجلس الأعلى الاستشاري للجامعة الاسلامية) الذي اسسها في المدينة المنورة وكان رئيسه الفخري وظل على ذلك الى ان بدل نظام الجامعة في ١٣٩٥هـ ، ١٩٧٥م .

وفي الجامعات خارج العراق ، دعته الجامعة الأميركية ببيروت في ١٩٥١م لمؤتمر الدراسات العربية ، خصصت له يوماً من ايامه الاربعة لإلقاء موضوعه الذي رغبت اليه في كتابته ، وهو(الاتجاهات الحديثة في الاسلام) وكان من شهودها الكاتب المصري انور الجندي ، فكتب بعد حين في صحيفة(الدعوة) السعودية (ع١٧١س١٩٦٨م) يصف صراحته قائلاً :« وهو الرجل الشجاع الذي دعته الجامعة الأمريكية في بيروت للكلام ، فقال لهم كل شيء دون تهيب او مجاملة ، وتركهم فاغري الافواه » ودعته هذه الجامعة ثانية لإلقاء محاضرة علمية في مؤتمر آخر فلم ينس له السفر .

وكلفه(معهد الدراسات العربية العالية) بالقاهرة التابع لـ(جامعة الدول العربية) إلقاء ثماني محاضرات في« محمود شكري الالوسي : سيرته وآرائه اللغوية » فلبى دعوته في ١٩٥٨م ثم عاد فكلفه إلقاء ثماني محاضرات في « عبد المحسن الكاظمي : سيرته وشعره ، فلبى ايضاً دعوته في ١٩٦٦م .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المؤتمرات

المؤتمرات :

ونعني بها مؤتمرات عربية سياسية ، واخرى ادبية وعلمية ولغوية او أوشك انهيا - غير ماتقدم ذكر بعضها ، فشهد منها ماسمحت الاحوال على حضورها ، واعتذر من التخلف عما لم يكتب له حضوره ، وذلك من ١٣٥٠هـ ، ١٩٣١م الى اليوم فاما المؤتمرات التي شهدها ، وشارك في اعمالها : مشاركات فعالة بارزة الحضور في مختلف الشؤون ، فهي :

١ - (المؤتمر الاسلامي العام) في القدس الشريف ، دعاه اليه مؤسسه السيد محمد امين الحسيني مفتي فلسطين الاكبر وافتتح في المسجد الاقصى ليلة٢٧ من شهر رجب ١٣٥٠هـ ، ١٩٣١م ، انشد في حفل افتتاحه قصيدة حماسية نشرتها صحف فلسطين وهي مثبتة في ديوان ملاحم وازهار وشارك في اهم اعمال المؤتمر ولجانه ومنها(لجنة الجامعة الاسلامية) واعضاؤها زعماء العلم والفكر والسياسة محمد رشيد رضا ، محمد اقبال وعبدالعزيز الثعالبي التونسي والوزير محمد علي باشا علوبة المصري .

٢ - المؤتمر العربي : انعقد في « القدس » خلال ايام المؤتمر الاسلامي العام في دار السيد عوني عبدالهادي المشهور في عالم المحاماة والسياسة ، وقد وقع فيه على ميثاق سياسي يفوض مواصلة الجهاد في سبيل تحقيق الوحدة العربية ، ومقاومة الاستعمار والصهيونية ودعوات التجزئات الاقليمية .

٣ - مؤتمر بلودان : عقد في صيف ١٩٣٧م في بلودان من ضواحي دمشق لمعالجة القضية العربية الكبرى قضية فلسطين ورأسه ناجي باشا السويدي من رؤساء الوزراء العراقيين ، وشهده جمّ غفير من ساسة العرب واقذادهم ، كان في طليعتهم الامير شكيب ارسلان وقد مثل فيه(جمعية الشبان المسلمين) .

٤ - المؤتمر الثقافي العربي الاول ، عقدته جامعة الدول العربية في ايلول ١٩٤٧م في (بيت مرى /لبنان) وافتتحه رئيس الجمهورية اللبنانية ، وقد اختارته وزارة المعارف العراقية رئيساً للوفد العراقي اليه ، وقد خطب في حفلتي افتتاحه واختتامه ، ورأس لجنة اللغة العربية فيه .

٥- مؤتمر الدراسات العربية في الجامعة الامريكية (١٩٥١م) .

٦ - مؤتمر الادباء العرب الثالث في بلودان في خريف ١٩٥٦م دعته الجمهورية العربية السورية اليه ممثلاً للعراق ، وقد افتتحه الرئيس شكري القوتلي .

٧ - مؤتمر المجامع اللغوية العربية : عقدته جامعة الدول العربية في خريف ١٩٥٦م ايضاً بدمشق ، مثل فيه المجمع العلمي العراقي وانتخب احد نواب رئيسه وعضواً في عدة لجان انبثقت عنه ، افتتحه رئيس الجمهورية العربية السورية السيد شكري القوتلي ، وخطب المترجم له في حفلي افتتاحه واختتامه ، ونعني في اثناء ذلك لنائبي فقيد العربية والاصلاح الاسلامي الشيخ عبدالقادر المغربي نائب رئيس المجمع العلمي العربي ، لما كان بينهما من اواصر الصداقة ، فصدع بالامر ، وفاة للعودة واكباراً للعلم والإصلاح .

٨ - الاحتفال بذكرى مرور احد عشر قرناً على تأسيس جامع القرويين في فاس ، دعته اليه الحكومة المغربية في خريف ١٩٦٠م ممثلاً للعراق ، وخطب فيه وقد افتتحه الملك(محمد الخامس) رحمه الله وتشرف بمقابلته مع الوفود في حفل التكريم الذي اقامه في القصر .

٩ - مؤتمر الادباء العرب الرابع والبحتري : عقدته الجمهورية العربية السورية في دمشق ، في صيف ١٩٦١م اوفده مجلس الوزراء العراقي لتمثيل العراق فيه ، وخطب في حفل افتتاحه في الجامعة السورية .

١٠ - الاحتفال بمرور ألف عام على تأسيس جامع اليوني وتجديده في مدينة (عنّابة) ، دعته اليه حكومة الجمهورية الجزائرية في خريف ١٩٦٨م وحاضر في قاعة البلدية بقسنطية في موضوع(القيم الاسلامية العليا والاسلام في مواجهة التيارات والتحديات المعاصرة) ونقلت الاذاعة المحاضرة على الهواء مباشرةً ، ثم في قاعة ابن خلدون في الجزائر العاصمة في موضوع(عبقرية الادب العربي والقوانين النفسية التي تعمل فيه) .

١١ - اسبوع العلم وذكرى مرور مئة عام على ميلاد الاستاذ الرئيس محمد كرد علي ، مؤسس المجمع العلمي العربي بدمشق ، دعته اليه الجمهورية العربية السورية في خريف ١٩٧٦م وقد شارك بقصيدة علوية همزية انشدها في حفل الافتتاح ، واستعارها منه الجمهور في اليوم الثاني .

١٢ - المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة واعداد الدعاة ، دعته الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة لحضوره في شتاء ١٣٩٧هـ ، ١٩٧٧م ، وقد افاده هذا المؤتمر اطلاعاً واسعاً على احوال المسلمين في اقطار اوروبا وأسيا وافريقيا مما سمعه وقرأه من الدراسات التي قدمتها الوفود الاسلامية من مختلف البلاد والاجناس .

١٣ - لجنة وضع مشروع اسس تحقيق التراث العربي ومناهجه ، عقدها معهد المخطوطات العربي التابع لجامعة الدول العربية ببغداد في مايس أيار ١٩٨٠م ونيطت به رئاستها ، هذا ، عدا المؤتمرات السنوية التي يعقدها مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وقد حضر معظمها من سنة ١٩٦٢م ، وقلما تخلف عن واحد منها إلا اضطراراً ، وقد قدم الى هذه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المؤتمرات بحوثاً في اللغة والأدب فحز نزرة ، وشارك في جميع اعمالها ، وفي وضع المصطلحات العلمية والفنية ومناقشتها على ماتشهد به محاضرها المنشورة .

اما المؤتمرات التي لم تسعفه الاحوال على حضورها ، فلا تقل عن هذه المؤتمرات عدداً إن لم تكن اكثر منها .. اذكر منها :

١ - مؤتمر المستشرقين في اسلامبول ، اعقد سنة ١٩٥١م ، وقد رفض حضوره لدعوة اليهود الصهاينة اليه ، ونشرت الصحف المحلية خبر رفضه واحتجاجه .

٢، ٣ - دعوتين الى طاشقند إبان رئاسته للاوقاف .

٤ - إحياء ذكرى الشاعر ابي فراس الحمداني ، في مدينة حلب نديته الحكومة العراقية لتمثيلها فيه ، وتلقى قبيل سفره بسويعات برقية مستعجلة بإلغائه لاضطرابات حدثت في حلب .

٥، ٦، ٧، ٨ اربع دعوات كريمات من لدن حكومة المغرب . اثنتان منها للمشاركة في مجالس الدروس الرمضانية الحسنية في القصر الملكي ، والثالثة لتكريم الشاعر الاندلسي الوزير ابن زيدون . والرابعة لحضور الدورة الاولى لأكاديمية المملكة المغربية ، في ربيع ١٤٩٩ ، ١٩٨٠م . وثلاث دعوات من الجزائر بعد الدعوة الأولى دعوتان لحضور الملتقى الإسلامي ودعوة من الوزير الابراهيمي .

أسفاره :

نشأ على حب الأسفار والضرب في الآفاق تتعرف احوال الأمم والاستمتاع برؤية البلدان . وبدأ اول اسفاره في ١٣٣٨هـ في سن اليفوعة قاصداً قبة الاسلام ـ ذهاباً في النهر وإياباً في البر بالقطار . ثم تم له بعدُ في ايام قيامه بالتفتيش الاختصاصي أن ترى العراق كله ، مدنه ، وسهوله ، وجباله ، وانهاره . وكانت أولى رحلاته خارج العراق في صيف ١٩٢٥م قاصداً سورية ولبنان مصطافاً ومستشفياً وأتيح له لقاء امير الشعراء (احمد شوقي) بدمشق والتعرف الى رئيس المجمع العلمي العربي واعضاءه العاملين وكثيرين غيرهم في دمشق وبيروت . وحدث وهو في دمشق نشوب الثورة فيها على الفرنسيين فانقطعت الطرق ، وعادت به السلطات تحت حماية السلاح الى العراق من طريق تدمر . وتوالت رحلاته الى دمشق ولبنان وفلسطين . وقد زار حلب وعدداً من مدن سوريا التاريخية ومنها : بُصرى ، وزار القدس الشريف مرتين ، ودخل نابلس وطبرية وعكا وحيفا وبيت لحم والناصرة والخليل واريحا ويافا وغيرها ، ودخل مع بعض الوفود في ١٣٥٠هـ تل ابيب ، خلسة . وزار مصر نحواً من سبع عشرة زيارة ، ودخل منها مدن الوجه البحري والفيوم والسويس وبور سعيد وبور فؤاد والاسكندرية وهذه كثر دخوله اليها . واصطاف في اسلامبول في ١٩٢٨م وزار من مدن تركيا أزنة واطنة وازمير وبالوه ومرسين ، واستمتع طويلاً بمشاهد البسفور خاصة . وزار من اوروبا : اثينا وروما والفاتيكان ومدريد والاسكوريال وطاف في انحاء من الفردوس المفقود ، وراعته آثار العرب والاسلام في قرطبة واشبيلية وغرناطة ولم يشف غليله برؤية بقية بلاد ذلك الفردوس وحضارته الباقية . ودخل باريس مروراً في طريقه الى المغرب في ١٩٦٠م وفاس في المغرب وهو الفردوس الثاني المعمور نعم بمشاهدة الدار البيضاء والرباط وسلا واصيلاء ازيلة ، وطنجة ومكناسة وفاس ووزهون وايلي وأيفران وشفشاون وتطوان . ودخل الجزائر العاصمة والبليدة الاندلسية الأهل ، وعنابة ، بونة ، وزار من جزر البحر المتوسط جزيرة رودس وجزيرة قبرص ، ومن الوطن العربي الجنوبي الكويت مرتين والرياض ثلاث مرات ومدن الحجاز ، مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة مراراً والطائف مرة واحدة . وقد افاد من هذه الأسفار والرحلات ، الى جانب المتعة الروحية علماً لايحد من الكتب ، وتجارب وبصراً بالحياة ، واكتسب صداقات الجم الغفير من اعيان اعلام العلماء والادباء والساسة والأعيان .

مؤلفاته

اسلفت انه تفتح على البحث والتأليف والكتابة والتحقيق والنشر منذ بداية اقباله على الدراسات العربية والاسلامية في سن اليفوعة إذ هو طالب مستفيد . وقلما قرأ علماً ولم يؤلف فيه ، وقد كان رأيه ان درس يراجع امهات الكتب في كل موضوع قبل شروعه في تلقيه عن الأساتذة . فابتعثته تلك الى التحقيق والتأليف ...

واذكر مايحضرني من اسماء المؤلفات والبحوث الجديدة :

١ - اعلام العراق (٢٤٦ صفحة) وهو اول كتاب ألفه في مبعة شبابه ١٣٤٤هـ ، وقد استفت خبره وماكان من اعجاب العلماء والنقاد به وبمؤلفاته .

٢ - المجمل في تاريخ الأدب العربي طبع الجزء الأول منه ببغداد في ١٩٢٧م

٣ - المدخل في تاريخ الادب العربي الفه في ١٩٣١م تلبية لطلب وزارة المعارف وطبع ببغداد سمع طبعات ثم أنهى الإنكليز تدريسه حين عادوا وسيطروا على مرافق الدولة بعد ثورة ١٩٤١م .

٤ - مهذب تاريخ مساجد بغداد وآثارها طبع ببغداد سنة ١٩٢٧م بدفقة السيد محمد امين باشر اعيان البصري وزير الأوقاف . وقد ضمنه مطالب إصلاحية أثارت عليه بعض الناس ، واقاموا دعوى عليه في محكمة الجزاء فبرىء .

٥ - ماساة الشاعر وضاح اليمن طبع ببغداد ١٩٣٥م وهو مساجلات جرت بينه وبين الأستاذ احمد حسن الزيات الأديب العربي المصري المشهور في ١٩٣٠م رد بها ما رد به الزيات من

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

القصة المفتراة على زوج الخليفة الوليد بن عبدالملك .
٦ - الاتجاهات الحديثة في الاسلام ، طبعت ببيروت في كتاب العرب والحضارة ١٩٥١م ص٨٥ -١٣٢ واعادت المطبعة السلفية بالقاهرة طبعها مستقلة مع مقدمة تقديرية كتبها الكاتب الاسلامي الشهير محب الدين الخطيب ، ثم نشرتها مجلة أدلة الاسلام التي صدرت حديثاً في الأردن .
٧ - محمود شكري الآلوسي : سيرته وآراؤه اللغوية ، طبعه معهد الدراسات العربية بالقاهرة(التابع لـ(جامعة الدول العربية) سنة١٩٥٨م
٨ - عبدالمحسن الكاظمي : سيرته وشعره « مخطوط »
٩ - شيخ الاسلام احمد عارف حكمة الله وخزانته في المدينة المنورة نشر في مجلة الزهراء بالقاهرة في ١٣٤٤هـ.
١٠ - عناية الملوك المسلمين ببناء المساجد في العراق نشر في مجلة منبر الاتي من اصدارات مديرية الدعاية بوزارة الداخلية العراقية .
١١ - معجم الالات والأدوات « مخطوط »
١٢ - شرح مقامات يحيى بن سعيد البصري معاصر الحريري. ويليه « مخطوط »
١٣ - عماد الدين الأصبهاني الكاتب نشر الكثره في مقدمة كتاب خريدة القصر قسم شعراء العراق
١٤ - الخطاط البغدادي : ابن البواب ترجمة من التركية بالاشتراك كتب عليه تعليقات اضافية مستقلة طبعه المجمع العلمي العراقي .
١٥ - ملاحم ـ وازهار ديوان في نحو ٤٠٠ صفحة نشره المجلس الاعلى لرعاية العلوم والفنون والآداب بالقاهرة في سنة١٣٩٤هـ، ١٩٧٤م وكتب الشاعر الكبير عزيز اباظة مقدمة ضافية له
١٦ - ديوان الآتي الجزء الأول نشره المجمع العلمي العراقي ١٩٩٠م وجزؤه الثاني قيد الطبع
١٧ - رباعيات فارسية لشاعر الافغان خليل الله خليلي(ترجمة شعرية)
١٨ - كتاب المحاضرات « مخطوط »
١٩ - كتاب المقالات« مخطوط »
٢٠ - كتاب النقود والردود« مخطوط »
٢١ - ديوان المراسلات« مخطوط »
٢٢ - الرد على الشعوبية ، او نقض كتاب المثالب لابن الكلبي في المسودة ولم يكمل .
٢٣ - معجم الاقاليم : معجم جغرافي تاريخي خص به اعلام خارطة الشريف الإدريسي وزاد عليه عالم بذكر فيها من البلدان . بضع مجلدات مخطوطة
٢٤ - معجم جغرافيا الإدريسي وهو مختصر من معجم

(في فندق هلتون بالقاهرة سنة١٩٦٨ .. في لقاء الاتري مع الوزير ثروة عكاشة ، وقد وقف الدكتور ابراهيم مدكور أمين مجمع اللغة العربية العام الى اليسار ، وعبدالخالق حسونه امين الجامعة العربية الى اليمين) .

الأقاليم يبلغ نحو الف صفحة بناه على خارطة الادريسي التي نشرها « مار » بالحروف اللاتينية واصلح اغلاطه وهي تخرج عن نطاق الإحصاء .

ومن بحوثه المهمة التي لها حكم الرسائل :
٢٥ - الجغرافيا عند المسلمين والشريف الإدريسي نشر في مجلة المجمع العلمي العراقي ١٩٥١م
٢٦ - رأي في اصلاح قواعد رسم الكتابة العربية : بحث نشر في مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ثم في مجلة المجمع العلمي العراقي ٤ /١٩٥٦م
٢٧ - الألفاظ الحضارية ودلالتها التاريخية وامثلة منها بحث نشر في مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة ١٩٦٩م .
٢٨ - تحرير المشتقات من مزاعم الشذوذ ، نشر في مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ومجلة مجمع اللغة العربية(المجمع العلمي العربي بدمشق) سنة١٩٧٤م
٢٩ - مزاعم بناء اللغة العربية على التوهم : بحث نشر في مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ومجمع اللغة العربية بدمشق سنة١٩٧٦م
٣٠ - كيف تستدرك الفصاح في المعاجم الحديثة نشر في مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة
٣١ - الى خط سجِ جديد في كتابة تاريخ الأدب العربي ، نشر في مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة
٣٢ - الظواهر الكونية في القرآن ، بحث نشر في مجلة العالم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الاسلامي ببغداد ١٩٣٨م

٣٣ - الشاعر ابو طاهر محمد بن حيدر البغدادي وكتاب قانون البلاغة المنسوب اليه نشر في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق

٣٤ - الشاعر ابو اسحاق الغزّي والتخليط بين شعره وشعر الاموي نشر في مجلة الزهراء بالقاهرة ١٣٤٥هـ.

٣٥ - الرجز وابو النجم العجلي وارجوزته اللامية الكبرى نشر في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق

٣٦ - كتاب اشهر مشاهير العراق في العلم والادب والفن والسياسة في ق١٣ و١٤هـ، نشر بعض فصوله في مجلة المعرض ومجلة لغة العرب ومجلة العالم الاسلامي ومجلة المعلم الجديد لوزارة المعارف وألف لوزارة المعارف بالمشاركة :

٣٧ - سلسلة القراءة العربية للمدارس الابتدائية ٤اجزاء طبعت اكثر من عشر طبعات

٣٨ - المطالعة العربية ٣اجزاء طبعت مراراً

٣٩ - ديوان الادب ٦اجزاء طبعت مراراً

٤٠ - الاساس في تاريخ الادب العربي بالمشاركة : جزآن كبيران نشرتهما وزارة المعارف غفلين من اسماء مؤلفيهما طبعا مراراً ثم افسدا بالتلخيص والتصرف

وحقق وشرح الكتب التالية :

٤١ - المختصر من مناقب بغداد لابن الجوزي طبع ببغداد ١٣٤٢هـ

٤٢ - ادب الكتاب للوزير ابي بكر الصولي طبع بالمطبعة السلفية بالقاهرة ثم اعاد بعض تجار الكتب طبعه في بيروت

٤٣ - بلوغ الأرب في احوال العرب للالوسي ٣ اجزاء كبيرة طبع بالقاهرة مراراً

٤٤ - الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر للالوسي طبع بالمطبعة السلفية بالقاهرة

٤٥ - تاريخ نجد ، للالوسي طبع بالمطبعة السلفية مرتين

٤٦ - رسالة المسواك ، للالوسي نشر في مجلة الحرية ببغداد

٤٧ - كتاب العقوبات عند بعض العرب في الجاهلية للالوسي نشر في جريدة مجلة المجمع العلمي العراقي

٤٨ - شرح لوح الحفظ في حساب عقد الاصابع لعبدالقادر بن علي بن شعبان نشر في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق(م٥)

٤٩ - كتاب النغم لابن المنجم نشر في مجلة المجمع العلمي العراقي ومستقلاً

٥٠ - مقدمة نزهة الارواح لشمس الدين محمد بن محمود الشهرزوري نشر بالقاهرة في كتاب نصوص فلسفية ص١٢٧ - ١٧٠ .

٥١ - تفسير ارجوزة ابي نواس في تقريظ الوزير العباسي الفضل بن الربيع لابي الفتح بن جني ، نشره مجمع اللغة العربية بدمشق في ١٩٦٦م ثم جُدد تحقيقه ونشره المجمع المذكور في ١٩٨٠م .

٥٢ - خريدة القصر وجريدة القصر /قسم شعراء العراق : للعماد الكاتب الأصفهاني ٦اجزاء كبار وتكملتها نشر المجمع العلمي العراقي منها الجزء الاول والجزء الثاني والتكملة ونشرت وزارة الثقافة والاعلام العراقية الاجزاء الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة .

٥٣ - نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للشريف الادريسي ، مخطوط تُعد للنشر .

٥٤ - صورة الارض ، او خارطة الادريسي جمع المستشرق الالماني ملر اجزاءها من نزهة المشتاق ووحدها وكتب اسماء المدن والجبال والبحار والانهار بالحروف اللاتينية فنقلها المترجم له بالاشتراك الى اللغة العربية وحققها وكتبها بقلمه ، ونشرها المجمع العلمي العراقي ثم نقابة المهندسين العراقية وحققها مجدداً مستقلاً في كتابيه معجم الاقاليم ومختصره(مرآة الاقاليم)

٥٥ - ذرائع العصبيات العنصرية في إثارة الحروب ورواية شاهد عيان تأليف وتحقيق نشره المجمع العلمي العراقي في مجلته ومستقلاً .

٥٦ - كتاب النحت في اللغة للالوسي تحقيق وتعليقات نشره المجمع العلمي العراقي .

٥٧ - اصالة المعجمية العربية ، نشره المجمع العلمي العراقي

٥٨ - الالوان في الفصحى والدراسات العلمية واللغوية ، نشره المجمع العلمي العراقي

٥٩ - ديوان الأثري الجزء الأول نشره المجمع العلمي العر ي ١٩٩٠ وجزؤه الثاني عشر والثالث عشر « البغداديين » للالوسي (تحقيق تُعد للنشر)

٦٠ - كتاب المسك الاذخر في علماء القرن الثاني عشر والثالث عشر (البغداديين) نشر قطعة منه ثم ظفر به كاملاً وحققه (تُعد للنشر) .

٦١ - كتاب النقط لابن جماعة للميذ ابن خلدون (تحقيق تُعد للنشر)

٦٢ - كتاب شرح ارجوزة الالوان للالوسي تحقيق تُعد للنشر .

٦٣ - العقد الثمين في مباحث التضمين للالوسي(تحقيق تُعد للنشر) .

٦٤ - نظرات فاحصة في قواعد رسم الكتابة وبعض ضوابط اللغة العربية وطريقة تدوين تاريخ الادب العربي طبعته وزارة الثقافة والاعلام في ١٤١١هـ ١٩٩١م

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(في قصر الفلة بالقاهرة . اوائل سنة١٩٦٨ المرحوم محمد بهجة الاثري والمرحوم محمد حسن الزيات .)

بهذه السيرة الحافلة ، المتعددة الجوانب : علماً وادباً ، نثراً وشعراً ، نقداً وتاريخاً ، فقهاً وسلوكاً وجهاداً متصلاً ودعوات هداية وصلاح واصلاح لتجديد شباب العروبة والعربية والحضارة العربية الاسلامي الانسانية ، اصاب ، كما قال احد مؤرخي جانب من سيرته ، فلاحاً تجلى في عرفان اهل الفضل بجهوده ، وتقديرهم لجملة اعماله فيما سلك بها من المسالك المختلفة ، ولاسيما فيما رسخ له من مكانة بين اعلام عصره من : ملوك ورؤساء وعلماء وفي (اوساط المجامع العلمية واللغوية) ، وفيما ظهر له من قدرات في محاورة بعض الاعلام المشاهير ، وهو في العشرينات من عمره ، وهم اكبر منه بعشرات السنين .. لايقل عنهم بياناً وفقوهم عارضة ومنهجاً وسلطقاً وحجيجاً وبراهين ، وعلى الرغم مما بلغ في ريعان شبابه من (التنوع) بمعنييه : الانبثاق والظهور بعد خفاء ، والسمو والعلو والنماء-لم يخلد الى الراحة ولم يستسلم لافات الزهو والغرور ، بل جرى على العكس ومضى كما كان في شبابه طلبة (بجهد في طلب المعرفة ينشدها في مظانها المختلفة باصرار واستمرار مستعيناً بالله وبقوله سبحانه وتعالى « وقل : رب زدني علماً » ، واعماله الادبية والعلمية ومشاركاته المجمعية شواهد مواصلة التربية الذاتية . وللتاريخ وتوثيقه . نذكر عالشار اليه هذا النقال من حظوظ التقدير والتكريم لجملة سيرته وعلمه وفكره واعماله المنوعة :

الاوسمة والجوائز

١ - وسام الرافدين : من العراق
٢ - وسام المعارف : من الحكومة اللبنانية
٣ - وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الاولى : قلده إياه سفير الجمهورية السورية ببغداد ، في حفلة فخمة
٤ - وسام العرش : من ملك المغرب محمد الخامس : قلده اياه سفير المملكة المغربية ببغداد في حفلة فخمة
٥ - وسام الاكاديمية المملكة المغربية قلده إياه الملك الحسن الثاني في قصره بالرباط في حفل مشترك لجملة اعضاء الاكاديمية
٦ - جائزة الملك فيصل بن الملك عبدالعزيز العالمية للادب العربي مع وسام رفيع ، قلدهما اياه ولي عهد الملك في حفلة رسمية فخمة في الرياض .
٧ - جائزة الرئيس صدام حسين مع وسام رفيع للانتاج الموسوعي ، استحدثت له تخصيصاً وقلدهما إياه السيد نائب رئيس مجلس قيادة الثورة في احتفال المربد ببغداد ١٩٨٩م
٨ - جائزة الكوفة للخط الكوفي من وزارة الثقافة والاعلام العراقية
٩ - وسام المؤرخ العربي (مرتين) من اتحاد المؤرخين العرب
١٠ - تكريم من رئاسة نقابة المعلمين العراقية

تقاريظ الملوك ورؤساء المجامع العلمية واللغوية

نقتصر على بعض منها :

١ - تقريظ الملك الحسن الثاني : جاء في الكتاب المفصل الذي وجهه اليه عند انتخابه عضواً مشاركاً في الاكاديمية المملكة المغربية : قوله : « سيادة الاستاذ محمد بهجة الاثري المحترم .
« .. فقد احدثنا (الاكاديمية) للمملكة المغربية ووضعناها تحت

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

رعايتنا السامية وذلك بموجب الظهير الشريف بمثابة قانون صادر بتاريخ ٢٤ شوال ١٣٩٧هـ (٨ أكتوبر سنة ١٩٧٧م) يحدد اهداف الاكاديمية ويؤطر هيكلها واجهزتها ونظام العضوية فيها .

وبما ان الفصل الرابع من الظهير المشار اليه يقرر ان الاكاديمية تتالف من ستين عضواً نصفهم من مواطني المملكة ويحملون صفة اعضاء مقيمين ، والنصف الاخر من الشخصيات المنتمية لجنسيات اجنبية ويحملون صفة اعضاء مشاركين .

ونظراً لمكانتكم الرفيعة ومزاياكم الانسانية والمهنية العالية ولما تتمتعون به داخل بلادكم وخارجها من : كفاية وصيت ذائع ، ولاسيما خدماتكم المشكورة التي تُسدُونها في مجال العلوم الفقهية واللغوية وتأليفكم وتحقيقاتكم السديدة في الادب والتاريخ الى جانب مانكذوّنه لبلادنا من مشاعر المحبة والصداقة .

فقد اقترحت علينا (اللجنة التاسيسة) التي عينّاها بمقتضى الفصل الثاني والاربعين من الظهير الملمح اليه ترشيحكم لعضوية الاكاديمية المغربية بصفة (عضو مشارك) .

وتقديراً منا لشخصكم ، وللاعمال الجليلة التي مافتئتم تبذلونها ، في مجال تخصصكم ، لامتكم ، وللانسانية جمعاء ، فقد وافقنا مبتهجين على تعيينكم عضواً مشاركاً في الاكاديمية المملكة المغربية .

ولنا كامل اليقين وبالغ الثقة في ان إسهاماكم القيم في نشاط هذه المؤسسة العليا وجهودها ، سيكون له الاثر الحميد في تحقيق الأهداف التي توخيناها من تاسيسها كما ستكون مشاركتكم حافزاً قوياً لتوطيد اواصر الاخاء والتعاون بين بلدكم والمملكة المغربية وتقبلوا اصدق عبارات تقديرنا ...

صدر بالقصر الملكي بالرباط ، في يوم السبت ٢٦ جمادى الأولى عام ١٤٠٠ الموافق ١٢ ابريل ١٩٨٠

الحسن الثاني

ملك المغرب

٢ - ومن قبل هذا التقدير له من ملك المغرب الحسن الثاني اشعره العلامة محمد كرد علي في ٥ آذار ١٩٣١م بقرار المجمع العلمي العربي بدمشق بانتخابه بالاجماع (عضواً مؤازراً) فيه .

« حضرة الاستاذ الفاضل السيد محمد بهجة الأثري المحترم / بغداد

قرر (المجمع العلمي العربي بدمشق) في جلسته الأخيرة ، بإجماع الاراء انتخابكم (عضواً مؤازراً) فيه ، بالنظر لما يعلمه عنكم من غزارة الفضل وسعة الإطلاع ، ولعنايتكم في خدمة اللغة العربية وآدابها »

٣ - كتب الأستاذ الدكتور ابراهيم مدكور ، رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة في كتابه (مع الخالدين) قوله فيه :

« في عام ١٩٦١م حظي مجمع اللغة العربية بشيخ من كبار شيوخ (العراق) ، وهو الزميل الكريم الأستاذ (محمد بهجة الأثري) الشاعر والناثر ، الكاتب والخطيب ، اللغوي والأديب ، المؤرخ والفقيه ، فأمده بفيض من دقيق علمه وعميق بحثه ، ولايزال يمدنا بكرم وسخاء ، نستشيره فيبشر ونسأله فيجيب ، ونكتب اليه فيرد بعد درس وإحاطة ، واشهد انه يعاوننا دون انقطاع ، في المؤتمر وقبله وبعده ، يؤمن بأن رسالة المجمع رسالته ورسالة كل عربي يعتز بعروبته »

٤ - كتب العلامة الشيخ عبد القادر المغربي ، احد اركان النهضة العلمية والأدبية في (مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق) مقرظاً لمأثرة مؤلفاته (اعلام العراق) منبهراً به وبمؤلفه الذي هو في عهد الطلب في مبعة شبابه (١٩٢٥) :

« وكنّا في اثناء تصفحنا الكتاب نعجب لذكاء مؤلفه ، وحسن تصرفه في الثناء على اساتذه ، وكنا نرى علم اساتذه ، واخلاقه وطريقته في الإصلاح ، وشدة وطاته على الجامدين : كل ذلك متجسماً فيه ، وضارباً فيابه عليه . فما اشبههما بـ (الشيخ ابن تيمية) وتلميذه (ابن قيم الجوزية) ! فكما كان (الالوسي) وتلميذه (الأثري) في هذه العصور المتأخرة وإن كان الدهر فجعنا بـ (الأستاذ الشيخ) فندعو الله ان يمتع المسلمين زمناً طويلاً بـ (التلميذ) الذي مازال في مبعة الشباب وغضاضة الإهاب ، وهو مع كونه لم يزل إبن لبُون قد شأى المقرمين ، واستطاع ان يبُذّ المحاولين »

الدرجات العلمية

١ - منحته وزارة المعارف في ١٩٥٦م درجة استاذ واستصدرت بها إرادة ملكية ، تقديراً لعلمه وادبه .

٢ - منحته جامعة بغداد في ١٩٩٢م دكتوراه فخرية في اللغة العربية .

الحفلات التكريمية

١ - حفلة العلامة محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق في ١٩٣٧م

٢ - حفلة السفارة العربية السورية ببغداد في ١٩٥٧م قلّد فيها وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الأولى الذي كرمه به رئيس الجمهورية العربية السورية (السيد شكري القوتلي) .

٣ - حفلة سفارة المملكة المغربية ببغداد : قلّد فيها وسام العرش من لدن الملك محمد الخامس .

٤ - حفلة الملك الحسن الثاني في قصره بـ (الرباط) قلده بنفسه في جملة اعضاء الاكاديمية وسام الاكاديمية وفي العهد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وساماً رفيعاً مع جائزة الملك فيصل العالمية للأدب العربي .

٥ - حفلة جامعة بغداد في ١٩٩٢م غُلّفت في أمسية رمضانية فخمة شهدها النجم الفخم من الأساتذة والأدباء ورجال الصحافة . قدم اليه فيها وفد التعليم العالي والبحث العلمي شهادة(الدكتوراه الفخرية)في الأدب العربي مع التكسوة الجامعية .

٦ - حفلة المجمع العلمي العراقي في ٢٢ /١/ب /١٩٩٣ شاركه فيها رئاسة ديوان رئاسة الجمهورية ، ووزارة الأوقاف والشؤون الدينية ، ورئيس جامعة بغداد ورئاسة نقابة الصحافيين ، وفريق من أساتذة الجامعتين جامعة بغداد ، والجامعة المستنصرية ، واولتها وزارة الثقافة والأعلام اهتماماً بالغاً فاذاعت وسائلها الإعلامية كافة المسموعة ، والمرئية ، والمقروءة ، فجرياتها ، تنويهاً بالمحتفى به .

مـــدائـــح الشعـــــراء

(أ) - أ . محمد احمد الغمراوي« مطارحة » القاهرة ، أ . محمد عبدالغني حسن « مطارحة » القاهرة ، أ . عمر بهاء الدين الأميري ، حلب ، أ . محمد البزم ، دمشق أ . سليم الزركلي « مطارحة » ، دمشق أ . محمد بن عباس القباج ، الرباط أ . عبدالله بن ادريس ، الرياض أ . احمد مظهر العظمة ، دمشق أ . امين ظاهر خيرالله الشويري ، لبنان أ . زكي قنصل« مطارحة » ، بوينس أيريس /البرازيل ، أ . احمد مظهر العظمة ، دمشق .

(ب)أ . طه الراوي« مطارحة » د . عاتكة وهبي الخزرجي ٣قصائد أ . حافظ جميل ، أ . خالد الشواف ، أ . عبدالهادي الدواهي ، أ . عبدالخالق فريد ، د .شوقي حمودي القيسي« قصيدتان » أ . راضي مهدي السعيد ، أ . عبدالغني الخضري ، أ . عبدالهادي الفكيكي ، أ . سلمان هادي آل طعمة ، أ . نعمان ماهر الكنعاني« قصيدتان » د . مصطفى نعمان البدري ، أ . إسماعيل القاضي ، أ . زهير احمد القيسي ، احمد الحاج حسين الجابري ، أ . عبدالستار درويش

التنويهات والاوصاف في ثنايا المؤلفات والمجلات

(أ)- أ . محمد رشيد رضا(مجلة المنار في نعيه العلامة الآلوسي ١٣٤٢هـ ، ١٩٢٤) ، ى . الشيخ عبدالقادر المغربي مجلة المجمع العلمي العربي وقد اسلفنا تقريظه أ . البرت حوراني(لم يحضرني اسم كتابه) أ . علي الطنطاوي /بغداد ، مشاهدات وذكريات ، د . ابراهيم مدكور(كتاب مع الخالدين) أ . ابراهيم مصطفى(كتاب المؤتمر الأول للمجامع اللغوية العلمية / دمشق ١٩٥٦ أ . فجب الدين الخطيب(تصديره كتاب الأتجاهات الحديثة في الأسلام) د . مصطفى سويف(كتاب الأسس النفسية للأبداع الفني) ، أ . عمر المدني(مجلة آفاق الإسلام /الأردن /السنة ٢ ، د . عبدالله بن عبدالمحسن التركي(تصديره كتاب داعية التوحيد والتجديد)د . منير العجلاني(تصديره في المجلة العربية بجدة الطبعة الثانية بهذا الكتاب ، أ . عبدالمنعم

(الدكتور حسين محفوظ والعربي المرحوم جمال الآلوسي وكاتب الأسطر المرحوم السعيد عبدالرحمن الكيرتي والمرحوم العلامة الأثري - في مكتب الباحث حميد المطبعي -)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(المرحوم الاثري في شبابه مع الكاتب المصري مصطفى صادق الرافعي)

خفاجي(مجلة الثقافة المصرية) .

(ب)- أ . جمال الدين الالوسي(كتاب الجزائر بلد المليون ونصف المليون شهيد) . أ . محمود المعروف(مجلة السهول) . كاظم محمد حسين (مجلة الاديب /بيروت /سبتمبر واكتوبر ١٩٧٩ /ص٥٥)- يونس البحري(مجلة الميثاق) -في سلسلة مقالات الأستاذ حميد المطبعي في مجلة"ألف باء سنة ١٩٨٢(اقوال الاساتذة د . بشار عواد معروف - د . محمد شريف - ى . مسعود محمد - أ . عبدالرزاق الحسني - أ . حميد سعيد -أ . عبدالجبار العمر - زاهر الاثري - يسار الاثري)د . صالح الشماع(مقالة لتزدهر الحضارة ، صحيفة القادسية ١٢ /١٢/ ١٩٩٣) . رشيد نعمان (كتاب قضية فلسطين في الشعر العراقي الحديث)- أ . رؤوف الواعظ (كتاب الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث) - د . احمد مطلوب(كتاب النقد الادبي الحديث في العراق) .

المقالات والابحاث المفردة

(أ) - أ . عزيز اباظة(تصديرة ديوان ملاحم .. وازهار . وديوان الاثري : الجزء الاول) - د . عدنان الخطيب(مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، وديوان الاثري الجزء الأول) - أ . انور الجندي(صحيفة الدعوة /مدينة الرياض) - د . عبدالهادي التازي(صحيفة الاستقلال /الرباط) - د. تقي الدين الهلالي(مجلة جمعية الشبان المسلمين /البصرة) - د . بشر كمال ، رئيس تحكيم جائزة صدام (في تقديمه عند منحه جائزة صدام للإنتاج الادبي الموسوعي التي استحدثت له في قانون الجوائز والأوسمة . في المربد العاشر ١٩٨٩) .

(ب) - د . صالح احمد العلي(تقديمه الحفلة التكريمية التي اقامها المجمع العلمي العراقي له في ٢٢ /١١ /١٩٩٣م) اعضاء المجمع العاملون(كلمتهم في الحفلة المذكورة) - د . نوري حمودي القيسي(بطولات جيشنا في اناشيد الشعراء /صحيفة العراق٥ /١ /١٩٩١م) - د . مصطفى نعمان البدري(أ)مع الاثري /صحيفة الجمهورية /الملحق الادبي ٢٤ /العدد ٨٠٠ / التاريخ ١٧ /٢ /١٩٩١ د. صفاء خلوصي /لندن ٣٠ /٣ /١٩٩٢م - أ . مهدي شاكر العبودي(من الاثري الى ابن البواب /صحيفة الرافدين ٣ /٥ /١٩٩٢م) أ . غازي عبدالحميد الكتبي(صحيفة القادسية /العدد٣٢٤٧ / ١١شوال ١٤١٠هـ ٦ /٩ /١٩٨٠م) .

التـــراجم التي ذكرته

١ - لُبّ الالباب /محمد صالح السهروردي

٢ - اعلام الادب والفن /ادهم الجندي

٣ - المجمعيون في ثلاثين عاماً /د . محمد مهدي علام

٤ - شعراء العراق المعاصرون / غازي عبدالحميد الكتبي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لماذا سمي بالأثري؟

لماذا سمي بالاثري ..؟

... عندما فتح الشاب محمد بهجة الاثري كتاباً في الفقه قرأ :(انه إذا عجنت عجيناً بماء ثم ظهر لك انه نجس ، فلك ان تطرح هذا العجين الى الكلب او تبيعه الى ....) وقد وقع الشاب محمد بهجة في دهش غريب ، وقال لاستاذه علي علاء الدين الالوسي : استاذي : ماهذا القول ، ثم دهش مرة اخرى عندما قال له استاذه :ماذا تريد ؟ فاجابه : اريد دين رسول الله ، فقال له استاذه :(انت اثري إذن)فسأله محمد بهجة ، ماالاثري ؟ فقال له استاذه :« هو الذي يتبع آثار رسول الله » وانتحل هذا اللقب ، وصار جزءاً من هويته وكنيته ..!

من كتاب حميد المطيعي

(موسوعة المفكرين والادباء العراقيين)١٩٨٨

(- قبل وفاته بايام ، وكان المطيعي يتفقده بين يوم واخر -)

٥ - معجم المؤلفين العراقيين / كوركيس عواد

الكتـــــاب المطـــــردة

١ - محمد بهجة الاثري حياته وشعره / رسالة ماجستير من جامعة القاهرة للباحث محمود جواد المشهداني (مخطوطة) .

٢ - العلامة محمد بهجةالاثري /لحميد المطيعي /ط . وزارة الثقافة والاعلام العراقية سنة ١٩٨٨ .

٣ - محمد بهجة الاثري : كتاب المجمع العلمي العراقي في تكريمه /كتابه :

١ - د . عبدالعزيز ابراهيم البسام : الاثري المتدرب والمربي /٢٣ - ١١٥

٢ - د . احمد مطلوب : الاثري .. الانسان والشاعر /١١٦ - ١٥٢

٣ - د . حسام سعيد النعيمي : الاثري .. والبحث اللغوي /١٥٣ - ١٨٧

٤ - د . صالح احمد العلي : الاستاذ الاثري والتاريخ /١٨٨ - ١٩٨

٥ - د . محمود عبدالله الجادر : الوحدة الروحية في شعر الاثري /٢٤١ - ١٧٢

٧ - د . عدنان عبد الرحمن الدوري : الاثري : ملامح من سيرته ومشاركاته في المجامع والجامعات العربية /٣٢٠ - ٤٢٥

٩ - ثبت مؤلفات الاثري : عبدالزهراء هامل غياض(٤٢٦ -)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قصيدة بخط الأثري

كان خط الشيخ الاثري ، طيب الله ثراه ، يُضرب به المثل في جودته وجماله ، ورغبت مجلة المورد الغراء أن يقف القراء عليه ، فاتتقليت هذه القصيدة بخطه ، وتقع في ثمانية وثلاثين بيتاً ، يصف فيها الشعر ، فهو عنده تعبير عما يكنه وجدان الشاعر من تعاطف مع هذا الفن العريق ، وانسمو به الى حيث يضعه في أرفع مكانة ...

ولم يكن الاثري يستنكر التجديد في الشعر ، ولكنه يريده جديداً متصل الاسباب بما سبق به الشعراء المبرزون من الاقدمين . (مقدمة الشاعر عزيز أباظة لديوان الاثري الموسوم بـ : ملاحم .. وأزهار ص ٩ ـ ١٠)

ولقد جاءت هذه القصيدة في أول ديوانه السالف الذكر ، طبعة القاهرة ١٩٧٤ .

رحم الله تعالى أبا زاهر ، وأسكنه فسيح جناته ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

د . حاتم صالح الضامن
كلية الاداب ـ جامعة بغداد

الشعر

الشعرُ .. ما رَوّى الغرامَ نَميرُهُ
وجرتْ بِرَقراقِ الشعورِ غديرُهُ

وصفتْ كأذواءِ الغناءِ عروقُهُ
ورفتْ بوُضّاءِ البيانِ نُضورُهُ

سأقى الغمامات ، فتّانُ الرُّؤى
يَزْهو بِها الفصحى الطَّريرُ رصينُهُ

غُرُّ المذاهبِ .. لا يشوبُ أصولَهُ
كَدَرٌ ، ولا واهي القُعاتِ يَشينُهُ

إنَّ القريضَ ، والقريضُ نَعيمُهُ ،
والصدرُ في أرضِ الحياةِ مَعينُهُ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قصيدة بخط الأثري

العبقريةُ نبعُهُ ، والنابليـ
ـةُ وَثْبَةٌ ، وصدى الحقبةِ دِبْدُبُهْ

تجري على سَنَنِ الجلالِ فيجتلي
ويرودُ أوضاحَ المجالِ بقبْضَةٍ

وتُريحُ أسبابَ الحياةِ شمالُه
وتروحُ ساعةَ لهوِهِ بجنوبُهْ

تمرُ - كصدّاحِ الغمارِ - سُعادُ
نعمُ الطبيعةِ ، راقصٌ موزونُهْ

وكأنّ سَيْفَ عِتابِهِ كوثرُهُ
لمعاً ، تُبينُ عن الضميرِ لُجونُهْ

دَنَّى البيانَ الغانياتُ فُنونُه
وغدورهنَّ التائهاتِ فُتونُهْ

يَلِدُ الخلودَ الروحُ في بِضعِ الرؤى
ويروحُ يلعبُ بالعقولِ فتونُهْ

بمزمارِ أوطارٍ ، وهادي أمّةٍ
يجدو على سَنَنِ الحياةِ نَبِيُّهْ

إن راقصَ الآمالِ أنعشَ باسماً
وارتاحَ مكروبُ الفؤادِ حزينُهْ

أو أنّ مُكتئباً تَرَنَّحَ نشوةً
أوردى القوى في ساعدٍ أجنُهْ

أو صَوَّحَ مشتاقاً إلى أوطارِه
بعثَ الرجاءَ إلى النفوسِ صبيُّهْ

أو رَنَّ بالشدَراتِ من تشبيبِه
أذكى أوارَ العاشقينَ رسيسُهْ

أو صاحَ بعضَ الغيظِ ثائراً
بعثَ الحياةَ إلى الوغى فتحيّزُهْ

مَنْ للظَّماءِ .. إذا كوى نَسْفُ الحشا
أقوى وأقطعُ طرفُهُ وصليُّهْ

يمضي . وفي التاريخِ بابٍ وَشْيُهُ
ويظلُّ وَهْجُ طريقِهِ وليُّهْ

يركو ويجلدُ مع شريقِ صروفِه
مأمونُهُ في صدقِهِ وأمينُهْ

ويموتُ مخلوقَ الصدى من فورِه
مكذوبُهُ ، ومَرِيبُهُ ، وأفيكُهْ

راودتُهُ أحلامُ الشبابِ .. فلم أجِدْ
كالشعرِ ، تربيها إلهُ ورنّهُ

يَرِدُ على حَرِّ الشقاءِ ، ويَبْتَسِمْ
كبَنِي الصبيحِ ، رؤودُهُ وحَنُونُهْ

أنثورُ الصَّحراءِ بين رياضِه
وظلالُهُ تَبّادُهُ وخدورُهْ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

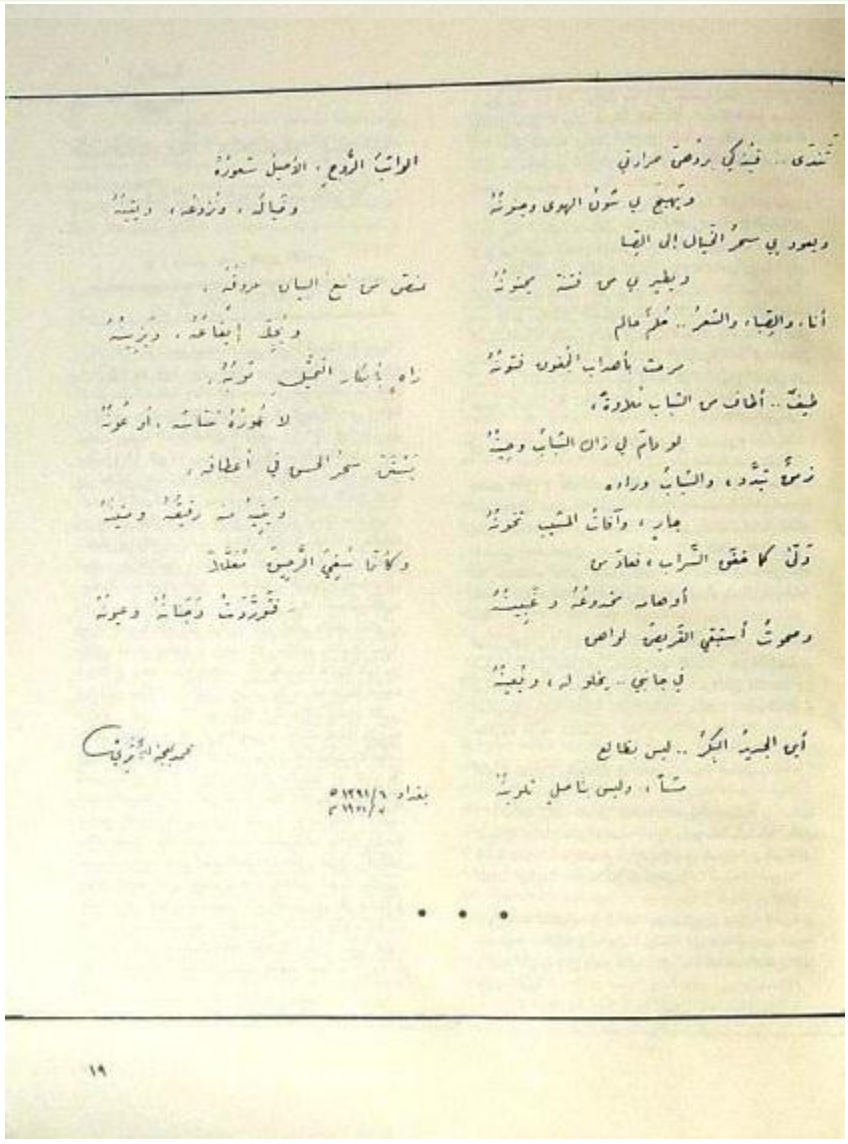

تندى .. فيذكي روضة حزاني
ويبعث في شؤون الهوى وجوده
ويعود بي سحر الخيال إلى الصبا
ويطير بي من فتنة بخوده
أنا، والصبا، والشعر .. عالم
مرت بأحداب العهود فتوده
طيف .. أطاف من الشباب بلابة،
لو دام لي زان الشباب وهيئه
زمن تبدد، والشباب وراءه
جار، وآفاق المشيب تحوده
ولّى كما هفق السراب، فعاد من
أوهامه مكدوده وغبيئه
وصحوت أستبقي القريض لواص
في جانبي .. يحلو له، ويطيبه
أبني الجديد البكر .. ليس بقانع
منا، وليس بناهل بخوده

الواثب الرَّوح، الأصيل شعوره
وخياله، ونزوعه، وبديهه
متفتق من نبع البيان عروقه،
وبحق إبداعه، وبريئه
راء بأبكار الخيال تموره،
لا عجوزه حشاشه، أو عجوزه
يتنفس سحر الحسن في أعطافه،
ويبيت من رقيقه وشيئه
وكأنما سمعي الرهين معلقاً
فتوزعت وجهاته وجوده

محمد بهجة الأثري

بغداد ٦/ ١٣٩١هـ
٧/ ١٩٧١م

• • •

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

شخصية محمد بهجة الأثري في شعره

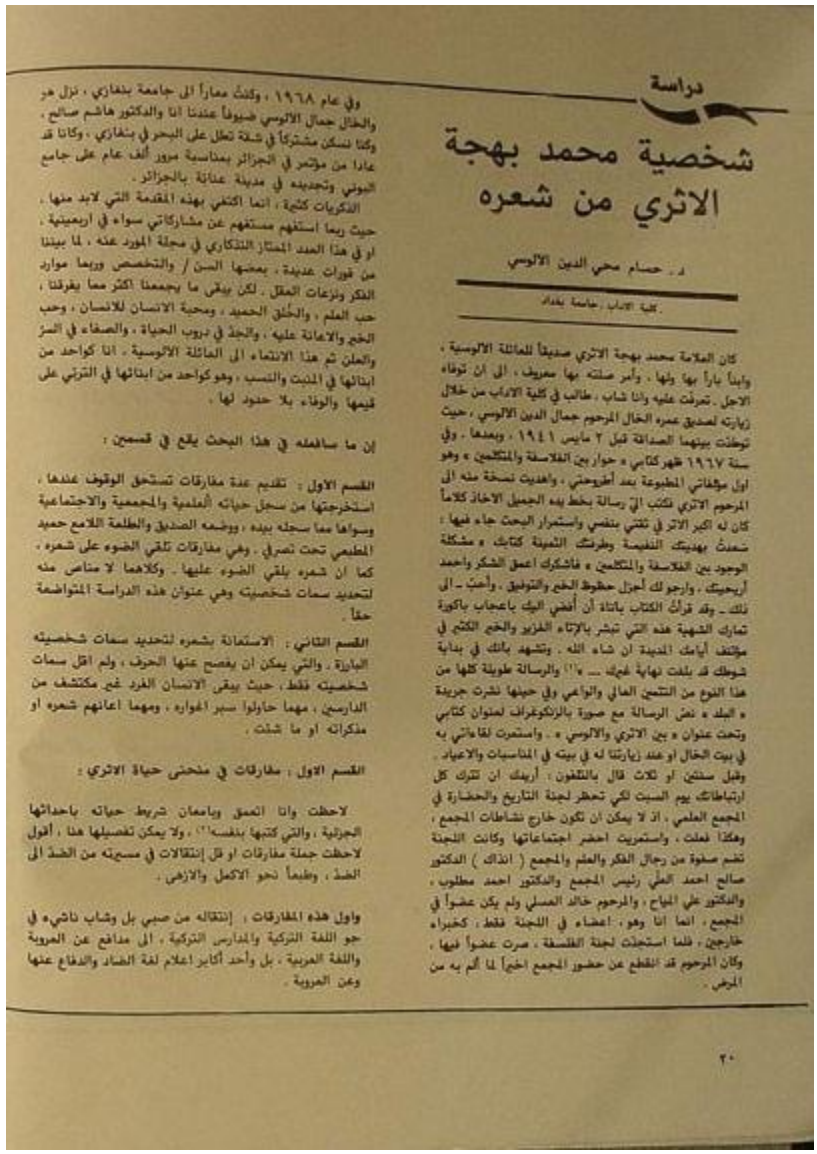

دراسة

شخصية محمد بهجة الاثري من شعره

د. حسام محي الدين الآلوسي

كلية الآداب، جامعة بغداد

كان العلامة محمد بهجة الاثري صديقاً للعائلة الآلوسية، وأباً باراً بها وبنا. وأمر صلته بها معروف، الى ان توفاه الاجل. تعرفت عليه وانا شاب، طالب في كلية الآداب من خلال زيارته لصديق عمره الخال المرحوم جمال الدين الآلوسي، حيث توطدت بينهما الصداقة قبل ٢ مايس ١٩٤١، وبعدها. وفي سنة ١٩٦٧ ظهر كتابي «حوار بين الفلاسفة والمتكلمين» وهو اول مؤلفاتي المطبوعة بعد أطروحتي، واهديت نسخة منه الى المرحوم الاثري فكتب الي رسالة بخط يده الجميل الاخاذ كلاماً كان له الكبر الاثر في تقتي بنفسي واستمرار البحث جاء فيها: «سعدتُ بهديتك النفيسة وطرفتك الثمينة كتابك» مشكلة الوجود بين الفلاسفة والمتكلمين» فاشكرك اعمق الشكر واحمد اريحيتك، وارجو لك أجزل حظوظ الخير والتوفيق. وأحبّ - الى ذلك - وقد قرأتُ الكتاب باناة أن أفضي اليك باعجاب باكورة ثمارك الشهية هذه التي تبشر بالإتاء الغزير والخير الكثير في مؤلفك أيامك المديدة ان شاء الله. وتشهد بانك في بداية شوطك قد بلغت نهاية غيرك ...»[1] والرسالة طويلة كلها من هذا النوع من التشجيع العالي والواعي وفي حينها نشرت جريدة «البلد» نص الرسالة مع صورة بالزنكوغراف لعنوان كتابي وتحت عنوان «بين الاثري والآلوسي». واستمرت لقاءاتي به في بيت الخال او عند زيارتنا له في بيته في المناسبات والاعياد. وقبل سنتين او ثلاث قال بالتلفون: أريدك ان تترك كل ارتباطاتك يوم السبت لكي تحضر لجنة التاريخ والحضارة في المجمع العلمي، اذ لا يمكن ان تكون خارج نشاطات المجمع، وهكذا فعلت، واستمريت احضر اجتماعاتها وكانت اللجنة تضم صفوة من رجال الفكر والعلم والمجمع (انذاك) الدكتور صالح احمد العلي رئيس المجمع والدكتور احمد مطلوب، والدكتور علي المياح، والمرحوم خالد العسلي ولم يكن عضواً في المجمع، انما انا وهو، اعضاء في اللجنة فقط، كخبراء خارجيين، فلما استجدت لجنة الفلسفة، صرت عضواً فيها، وكان المرحوم قد انقطع عن حضور المجمع اخيراً لما ألم به من المرض.

وفي عام ١٩٦٨، وكنتُ معاراً الى جامعة بنغازي، نزل هو والخال جمال الآلوسي ضيوفاً عندنا انا والدكتور هاشم صالح، وكنا نسكن مشتركاً في شقة تطل على البحر في بنغازي، وكانا قد عادا من مؤتمر في الجزائر بمناسبة مرور ألف عام على جامع الزيتوني وتجديده في مدينة عنابة بالجزائر.

الذكريات كثيرة، انما اكتفي بهذه المقدمة التي لابد منها، حيث ربما استفهم مستفهم عن مشاركاتي سواء في اربعينية، او في هذا العدد الممتاز التذكاري في مجلة المورد عنه، لما بيننا من فورات عديدة، بعضها السن / والتخصص وربما موارد الفكر ونزعات العقل. لكن يبقى ما يجمعنا اكثر مما يفرقنا، حب العلم، والخُلق الحميد، ومحبة الانسان للانسان، وحب الخير والاعانة عليه، والجد في دروب الحياة، والصفاء في السر والعلن ثم هذا الانتماء الى العائلة الآلوسية، انا كواحد من ابنائها في المنبت والنسب، وهو كواحد من ابنائها في التربي على قيمها والوفاء بلا حدود لها.

إن ما سأفعله في هذا البحث يقع في قسمين:

القسم الاول: تقديم عدة مفارقات تستحق الوقوف عندها، استخرجتها من سجل حياته العلمية والمجمعية والاجتماعية وسواها مما سجله بيده، ووضعه الصديق والطلعة اللامع حميد المطيعي تحت تصرفي. وفي مفارقات تلقي الضوء على شعره، كما ان شعره يلقي الضوء عليها. وكلاهما لا مناص منه لتحديد سمات شخصيته وفي عنوان هذه الدراسة المتواضعة حقاً.

القسم الثاني: الاستعانة بشعره لتحديد سمات شخصيته البارزة، والتي يمكن ان يفصح عنها الحرف، ولم اقل سمات شخصيته فقط، حيث يبقى الانسان الفرد غير مكتشف من الدارسين، مهما حاولوا سبر اغواره، ومهما اعانهم شعره او مذكراته او ما شئت.

القسم الاول: مفارقات في منحنى حياة الاثري:

لاحظت وانا اتمعق وبامعان شريط حياته باحداثها الجزئية، والتي كتبها بنفسه[2]، ولا يمكن تفصيلها هنا، أقول لاحظت جملة مفارقات او قل إنتقالات في مسيرته من الضد الى الضد، وطبعاً نحو الاكمل والارقى.

واول هذه المفارقات: إنتقاله من صبي بل وشاب ناشيء في جو اللغة التركية والمدارس التركية، الى مدافع عن العروبة واللغة العربية، بل وأحد أكابر اعلام لغة الضاد والدفاع عنها وعن العروبة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وثاني المفارقات : أنه أريد له في اول حياته ان يسلك العسكرية ، لكن مصادفة سعيدة إنتقلت به الى ان يكون رجلاً مدنياً ، مهنته وأهدافه العلم وصنعة الانسان في رحاب المحبة والسلم .

وثالث المفارقات : إنتقاله من « أثري » يقف عند حدود « أثر » الرسول في الحديث والسنة ، وهذا أصل تسميته بالأثري ، الى مجتهد في الشريعة ، وناع على التقليد .

ورابع المفارقات : ركونه ، بعد ان أتخذ طريق الصراع والكفاح والمجابهة ديدناً له في الشطر الاكبر من عمره المديد ، الى حياة الهدوء والابتعاد عن الصراعات في أواخر حياته .

وقد ساعدته في هذه الانتقالات جملة صدف سعيدة وسمها ما شئت ، وأهمها تتلمذه على الآلوسيين ، ومرضه عندما دخل الحربية ، والشغب في مدرسة الليانس اليهودية ، ثم سجنه بعد فشل ثورة مايس ١٩٤١ ، ثم اضطراره الى شؤونه الخاصة والى التأليف والشعر بعد عام ١٩٦٣ الى ١٩٧٨ ، وربما كانت اهم صدفه السعيدة أنه الاثري خلقة وتكويناً ومؤهلات .

وكل هذا او ذاك يحتاج الى تسليط بعض النور للتوضيح لهذه المفارقات من جهة ، وللاستعانة به لفهم شعره ، ودلالات شعره على شخصيته .

هو من بيت من بيوتات التجارة وتملك العقار ، أصل العائلة من ديار بن بكر بن وائل واستقرت في قلعة اربيل واليها نسبت ثم أفت بغداد قرب المستنصرية ولها املاك هناك ، وامتدت تجارتها بالخيل الى الهند . ولد محمد وكان هنا أسمه عام ١٩٠٢م / ١٣٢٠هـ ، وسمته امه بهجة ، فجمع الاسمين ، واحب له والده حلية العلم لا التجارة ، واضطرب انتماؤه الدراسي بعد مرحلة الكتّاب والمدرسة الابتدائية بين مسلكين : مسلك عسكري ، وآخر مدني ، فبعد الابتدائية انتمى الى الرشدية العسكرية ، فعرض لشدة التدريب فتركها مداوماً في محكمة الاستئناف يتدرب على الانشاء التركي ، ثم دخل المدرسة السلطانية ، ولبث بها الى الاحتلال البريطاني لبغداد في ١١ آذار ١٩١٧ ، وكانت هذه المدارس باللغة التركية وتعلم الى جانبها الفارسية والفرنسية ، ولما عطلها الانجليز دخل الآليانس الخاصة باليهود ، وتقبل عدداً من المسلمين ، وتُعلم في المدرسة العبرية والفرنسية والانكليزية والرياضيات ، لكنه تركها في السنة الاولى بسبب ما جرى فيها من خصومات بين الطلبة اليهود والمسلمين . ولما بدا لوالده ضعف ولده في العربية بدأ به رحلة دراسة العلوم العربية الاسلامية وهو في السنة الثامنة عشر من عمره ، حيث تهيأ له اساتذة أعلام واخصهم الآلوسيان علي علاء الدين المتوفى سنة ١٣٤٠هـ ومحمود شكري المتوفى سنة ١٣١٢هـ / ١٩٢٤م ، حيث الى جانب ما درس عليهما من علوم ، خصوصاً ، العلوم الاسلامية زرعا فيه حب العربية والعروبة والاسلام الصحيح ، ومقاومة البدع ، وبداية قرض الشعر ، والنزوع الى البحث والتأليف والتحقيق .

دخل في معارك ادبية على صدر الصحف مع الزهاوي ، مفضلاً عليه احمد شوقي في سبعة وعشرين مقالاً ، وكذلك مع الرصافي في قضية « الحجاب » حيث كان الرصافي يشكو حال المرأة المسلمة[٢]

لم أر في الأقوام مظلوماً أحق بالرحمة من مسلمة مظلومة حتى بحيائها محجوبة حتى عن المكرمة

كما دخل في معارك سياسية في الصحف ، واهمها مع نوري السعيد وكان رئيساً للوزراء ، قال المرحوم ، أسرها لي ، وأخذ ثاره بعد فشل ثورة مايس ١٩٤١ .

حياته حافلة بين التدريس في المدارس الثانوية او الخدمة في الأوقاف بعد ان أوفده سنة ١٩٣٦ ياسين الهاشمي رئيس الوزراء الى مصر لدراسة اوضاع الأوقاف والأزهر ، ثم بعد انقلاب بكر صدقي سافر الى دمشق ، وعاد بعد ذهاب بكر وانقلابه مفتشاً اخصائياً بوزارة المعارف .

وشارك بشعره ومواقفه في حركة ٢ مايس ١٩٤١ ، واعتقل لمدة ثلاث سنوات في سجون الفاو وسامراء والعمارة مع (٤٠٠) من خيرة رجال الفكر والسياسة والمجتمع وعلماء الدين والشيوخ الوطنيين ، وخرج من السجن في ٢٧ ايلول ١٩٤٤ ، وفي اعتقاله وشهادته هو قرأ الكثير من العلوم وتدارس الفارسية والانجليزية والالمانية ، وأقرأ بعض المثقفين في المعتقل النحو والمنطق ، وبعد اطلاق سراحه ، واصل الكتابة في الصحف شعراً ومقالات وخص فلسطين جهداً كتباً . وعين في ١٨ / ٢ / ١٩٤٧ عضواً في لجنة التأليف والنشر ، وعضواً في اول مجمع علمي بعد ان تحولت هذه اللجنة الى هذا الاسم سنة ١٩٤٧ فنائباً للرئيس سنة ١٩٤٩ ، وسنة ١٩٥٥ ، وأشرف على تحرير مجلة المجمع سبع سنوات ، ومشاركاً في جهود المجمع ، والمصطلحات العلمية والفقهية والحضارية الى سنة ١٩٦٣ ، حيث صرف من المجمع ، ثم أعيد اليه في نيسان ١٩٧٩ ، ولما قامت ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ عينه مجلس السيادة مديراً عاماً للاوقاف الى سنة ١٩٦٣ ، فاستطاع ان ينجز ما كتبه في تقريره سنة ١٩٣٦ ، فاقام العمارات وانشأ المدارس وعمر المساجد ... الخ ما هو مسجل بيده ، واستغل فترة صرفه عن الوظائف السابقة بعد عودته الى المجمع سنة ١٩٧٩ ، في الجانب الاجتماعي ، وهذه مفارقة اخرى ، كان اجتماعياً او مجتمعياً ، على عكس ما حصل في أواخر عمره ، فقد كان مبادراً لخدمة المجتمع ، «الطبقات المسحوقة ، وقضايا الامة فاسس سنة ١٩٢٨

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

جمعية الشباب المسلمين ، واصدرت الجمعية مجلة العالم الاسلامي ، وبعد سنتين غرق الانجليز أعضاءها بعد نشاط هائل ، وأسس جمعية المنسوجات الوطنية سنة ١٩٣٠ ، وانتخب عضواً في جمعية الدفاع عن فلسطين . في أواخر حياته ، ومن خلال كتابة حميد المطيعي كتاباً عنه ضمن موسوعة المفكرين والأدباء قال له حميد المطيعي : ينبغي ان تخوض معارك تجدد فيها شبابك الثقافي .

فاجابه الاتربي : أي المعارك يمع من ؟ أجابه حميد : معارك في تصحيح بعض المعادلات الثقافية في الوطن العربي . فاجابه الاتربي : أنا حملي ثقيل . أولاً حمل الصحة المتداعية ، ثانياً ، واجب الاسرة والحفدة ، وثالثاً ، في أرتباطات بخمسة مجامع علمية وثقوية ، كل منها يجب ان اواصله بقدر المستطاع ، وان أسافر وأحاضر وأناقش ، وان أعرض ما يقدم الي من دراسات للنجان ، كل هذا كفاح [٥] وجهاد .

اما انا فاقول : ان الاتربي للاسباب اعلاه ، ولامور اخرى تتعلق بمصير الامال قرنية ووطنية وحال الوطن والامة وحال الكرة الارضية ، أكر خدمة تنتج شيئاً ملموساً ولي سواها يكون كحاطب ليل ، او كمن يبذر في بحر ، او يخط في رمل .

القسم الثاني : سمات شخصية الاتربي من خلال شعره :

شعر الاتربي كثير ، وقد طبع الجزء الاول منه باسم « ملاحم وازهار » مع مقدمة جيدة كتبها الاستاذ الشاعر عزيز أباظه ، ثم طبع شعره المجمع العلمي العراقي في جزئين ، الثاني ، صغير جداً ، والاول يقع في (٥٤٥) صفحة مع المقدمات [٦]

وكما اشار بحق الدكتور احمد مطلوب في بحثه « الاتربي الانسان [٧] والشاعر » فان ترتيب قصائد الديوان لم ترتب زمنياً ، لصعوبة ذلك ، لان بعضها غير مؤرخ ، وهذا لا يساعد الدارس لشعره على اعطاء صورة واضحة عن تطور شاعريته ، علماً بان موضوعاتها قد تحدد الزمن الذي قيلت فيه . وهو امر لا نحب ان نقوم به في دراستنا هذه ، ذلك لان تطور شاعريته ليس هو المقصود من هذا البحث . وطالما ان وضع قصائده الحالي يكفي للاستنتاجات المطلوبة حول شخصيته وحول المفارقات السابقة وامكان ملاحظتها [٨] بوضوح .

وأحب ان انبه ان هذه الدراسة ليست منصبة لدراسة شعره دراسة شاملة ، ولا لخصائص هذا الشعر الفنية ، بل هي تهدف الى الاستدلال بشعره على شخصه وفكره ومعتقده ، وهويته القومية والاسلامية والانسانية ، كانسان فوق العصبيات والمشاحنات المذهبية وكانسان غني للانسان .

ويقتضي المقام مع ذلك وربما الانصاف الا نترك الامر سائباً ، بالنسبة لخصائص شعره الفنية ، بقدر ما يقتضي المقام ، والتسجيل السابق الذي هو وثيقة ستمضي عبر السنين وإلى ما شاءالله . لكننا لا نحتاج الى ذكاء كبير ، وتذوق فني كبير ، وضربة عميقة للقول بان اية نظرة الى قصائد الاتربي ، توصل الانسان الى انه امام شعر يمتلك اعلى المواصفات الفنية للشعر العمودي الرائع ، لغة ، وسبكاً وتوصيلاً ، واداء ، ومن كل وجه . ويكفي هنا ان استشهد ببعض الاقوال الموجزة في تقويم عدد من الدارسين المؤهلين في هذا الاتجاه .

فهذا عزيز أباظة مقدم ديوانه وهو شاعر معروف متمكن يقول ان تمكن الاتربي من اللغة واطلاعه على أشعر منذ الشعر الجاهلي الى اليوم مكنه من ابراز مواهبه بشكل يدعو الى الاعجاب « فجاء شعره قوياً محكماً ، متين الاسباب ، يجمع بين قوة التعبير ، ودقة التصوير ، ومتابعة ما جد على فنون الشعر من تطوير ، مع المحافظة على اصول هذا الفن العريقة ، والامساك باوتار الشعر في ازهى عصوره ، وأبهى مجاليه[٩] » . ويقول ان شعره يمتاز بجزالة اللفظ ، وقوة الصياغة ، وبراعة التعبير ، وابداع النسج ، واحكام القوافي ، وطرافة المعاني ، مع توفر الغنائية وانسجام القصيد بيتاً بعد بيت ـ[١٠] ويشخص الدكتور عدنان الخطيب تحت عنوان « الشاعر وديوانه » اهم خاصية لشعر الاتربي وهي « الغنائية » مع جمال الصور ، وبراعة[١١] انتقاء الالفاظ ويضيف الدكتور عبد العزيز البسام في بحثه الكتاب المعنون الاتربي المترجم والمربي ، ان شعر الاتربي يتميز بالتعبير عن الشعور الصادق « فيه إخلاص العاطفة المتوهجة ووثباتها وطلاوة الديباجة ومتانتها ، وغنى المعاني وعمق دلالتها ، ووفرة الصور وحسن أخيلتها ...»[١٢] ويؤكد جواب الاتربي على استخبار اجراه معه الدكتور مصطفى يوسف عن حقيقة الشعر وامور اخرى عن الشعر .

وفترة الحضانة والاعداد للقصيدة ام لا ، هذه السمة لشعر الاتربي هي الصدق في المشاعر فهو لا يقول الشعر الا اذا جاش في صدره وتوافرت حوافزه ودواعيه من غير تصنع ، وان للشعر الحق في عرفه هو الذي يكون عن شعور صادق وفيض[١٣] الطبع .

ويوجز باحث آخر سمات شعر الاتربي الفنية ، بعاطفة وشعور ، ولغة رصينة ، وعبارة متينة ، وصور قوية ومؤثرة ، وإيقاع يهز النفوس ويحرك[١٤] الضمائر .

والان نمضي في طريقنا الطويل ، ولكن غير المتعب في تحديد شخصية الاتربي من خلال شعره ، وهذا يثير سؤالاً منهجياً ، هل ضرورة يكون شعر الانسان دليلاً على شخصيته ؟ وبدون دخول في مواقف المدارس الادبية النقدية المعروفة ، اقول ، وبدون كثرة كلام ، نعم ، حينما يكون الشعر صادقاً ، ولكن ما مقياس صدق الشعر ؟ هذا لابد من العودة الى سلوك المدروس ومعرفة دراسة بجزئيات حياته ومواقفه ، فإذا تطابق السلوك للمدروس مع ما في شعره من قيم ودعاوى واتجاهات كان ذلك دليلاً كافياً ، وهنا نقع في دور ، فنحن نريد ان نعرف شخصية المدروس من شعره ،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فاذا بنا نعود الى المدروس لتفهم دلالات شعره ، ومدى صدقها ، وانا لا ارى في ذلك شيئاً طالما المهم هو الوصول الى معرفة حقيقية واضحة لشخصية المدروس ، وهو هنا الاثري .

نقطة اخرى ينبغي ايضاحها وهي ان احد معالم شخصية الانسان هي افكاره واتجاهاته وعقيدته ، فاذا تطابق مضمون الشعر مع المعروف من تلك الشخصية في سلوكها الواضح الجلي المتواتر والمشهود به من كثيرين ، كان ذلك دليلا على صدق الشعر من جهة ، ووحدة الشاعر وشعره ، وهذا امر لا اجده مثيراً لاية ازدواجية مع الاثري ، فهو لا يقول ما لا يعتقد ، ولا يفعل ما لا يقله ، مع ملاحظة ان ذلك لا يشترط فيه المطابقة مائة بالمائة ، ذلك انه مهما كان الانسان صادقاً وشجاعاً ، واميناً ، يترك في الاغلب شيئاً لا يريد ان يقوله الا لنفسه ، كما يبقى فعله وعمله اقل من صورة الطموح التي يراها ، لاسباب عديدة ، وليس واحداً منها ، مع الاثري داخلاً في ميدان الخوف ، او الطمع ، او التزلف ، وانما هي اسباب تتصل بالذوق والكياسة ومستوى المخاطب ، وغير ذلك من دواعي الحكمة والتبصر .

والان وقد قدمت هذه الملاحظات والاحترازات اقول ، حاولت ان اجمع ما يعطيه شعر الاثري مما يجلي حدود شخصيته فوجدته يتركز في ستة اقطاب او مراكز وهي على التوالي ، وربما من حيث الاهمية والاثر على مجمل شخصيته ، ولنبدأ بأولها ،

١) الاثري المؤمن : يظهر شعر الاثري الذي بين ايدينا ، الاثري مؤمناً بالله ، كمسلم ، يجد الله ظاهراً في الطبيعة ، كما في أنفسنا ، وكل شيء في الكون مظهر له ، ويشعر الاثري بهذا شعوراً قوياً يكاد يدنيه من حدود التوحيد بين الله والاشياء دون وحدة وجود ، كما نعرفها عند اصحابها من صوفية وفلاسفة ، وهو يشعر بحب للذات الالهية ، تصرفه عن سواها الا من خلالها .

وهذا شعره شاهد على ذلك حيث يقول في قصيدة « الله » مناجاة وتسبيح ، وهي أول قصائد الديوان :

قلبي ـ بفيك لم يزل شغافُهُ ... يا ربِّ ، فاجْلُ خبَري الاخطارا
عن كُلِّ وجهٍ قد صرفتُ عبادتي ... وعبدتُ وجهك وحده مختارا
لا الّذي فيما خلقت تأملاً ... لارتك ثم مع الخفاء جهارا
أعطيتني بصراً يشاهدُ روعةً ... ومسيرةً تجلو سناك بدارا
منك الوجود بداية ، واليك بعـ ... ـدُ نهايةً ، وبك استقرّ قرارا

وتستمر القصيدة ، ليفصح في نهايتها انه لا يكابد شكاً ، بل هوى :

يا ربِّ ـ انك بعد أكابدُ من هوى ... أمري ، وفيم أشيبُ الاشعارا
نظري بأوضاح الصباحة عالقٌ ... وتفكري في كُنه سرك دارا

وهوى ضميري أنت فيا أيتها ... وبعدا الذي في هواة حرارا
فديتك بانوار الجلال سريتي ... شوقاً ، وتسبيحاً له ، وسرارا
لله شيح في السموات العلى ... والارض ما يبدو وما يتوارى[٢٠]

وفي قصيدة بعنوان « أنوار وتجليات » يقول في نفس المعنى مؤكداً على ان العقل والحس المباشر يتجلى الله في الاشياء يقودان الى الله .

ربِّ ـ حارتْ في كُنهك الافكارُ ... أمْ بدا فكرتْ عراها إنهيارُ
كيف تسمو الى إلتماعك خلقٌ ... هلْ عن فهم خلقهِ قرارُ
بهرتها هذي الطبيعةُ والحسـ ... ـنُ وهذي الآياتُ والانوارُ
كيف فاحتْ ، وكيف ثارتْ ، ومن أيـ ... ـن استفاض الإبداعُ والإبتكارُ
وقد العقلُ دونها بهداهُ ... وفؤادٌ تثورُ واعتبارُ
إن تكُنْ لا ترى ، فأيكَ خفّتْ ... عنك جهراً ، كما يغبّ النهارُ
نو الجميعا يشهدُ التجلي في الكو ... نِ ، ويُضحي في قلبه الاسفارُ
قد تنوّرتُ من جلالك ربّي ... فوق ما أفصحت به الاسفارُ[٢١]

ويقول في قصيدة تجلياتُ الجلال والجمال) :

طُفْ بهذا « الوجود » لحظاً ولمّا ... وتملّ الجمال مني وحسّا
صوّر الحسن فيه لا تتناهى ... ما لعيٍ تثري إليهِ مرسى
صاغها البارىء الحنون أيسا ... يتجلى فيها جلالاً وقدسا[٢٢]

وتكتفي بهذه الابيات منها ، ومثل ذلك في قصيدته « سبحات واشراق » يقوله :

يا ربِّ ! أمرك خافقي ، وقد التقى ... بالحبِّ ، أن يفنى من الإحراقِ
قد نبتُ في نور الجمال ، فإنه ... عن نور ذاتك شفّ في الافاقِ[٢٣]

والاثري مؤمن ، مسلم ، وليس مؤمناً دون انتماء لدين محدد ، على نمط ما نجد عند مذاهب التأليه الفلسفية المعروفة باسم Theism . فهو مسلم ، وجد هاديه وقائده في دروب الحياة في دين محمد (ص) وشخصيته واخلاقه . وهذه الدعوة خالدة ، ودين الاسلام هو دين البشرية منذ كانت . وسنكتفي بمقتبسات قليلة :

يقول في قصيدة مولد النور عام ١٩٣٥ ومطلعها :

هو الحبُّ ، يغريني بمدح « محمدٍ » ... فتغشى الجفاني أيّ هيبة سيدِ
يُشرفُني أني أقولُ مديحهُ ... وإني بما قد نالَ للناس فقتدي[٢٤]

وهي طويلة جداً ، يقول :

تكشّفَ أبهى السّرِ في كبريائه ... فقلبي إلى السرِّ الحقيقي اهتدى
فأدركتُ أنّ السر بالخُلق قائمٌ ... وأيقنتُ أنّ الخُلقَ في دين « أحمد »

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وفي حفلة أخرى يقول :

إن عشر عمر الفتى الحق شاعر ... فاني غير الجهير لم أتموه
بعمر أني في امتدادي تسلسل ... وأني بحم الخلق في الخلق مهتد
وما عمري إن فاتني هذي منصب ... إذا كان هدي بالنبي « محمد »[٣٠]

ويعلن في قصيدة « الرسول الاعظم » ١٣٥٩ هـ ان دين البشرية واحد هو الاسلام وانهم أمة واحدة ومطلع القصيدة :

خلقت العمور ، وأنت أنت الأبدة ... تكرى غفلتة ونجلة مرمدة

الى ان يقول :

ما الناس لولا البغي إلا أمة ... والدين لولا الجهل إلا واحد
ما أحسن التوحيد يجمع شملهم ... فيعود وهو نظام وتوحد

ويقول :

يمماً فتوحين لم يمرفا لهم ... رأي يخل ولا مقال يرحمة
نقوا الرسالة وارتلوها دعوة ... زمنية ، أطلت وليس لها غد
خطت بحيل قد مضى ، وبحقبة ... طويت ، وشان ربك لا يتمايد

فيه عليهم :

اليمنة الكبرى حياة للورى ... أبد الزمان ، ونعمة تتجدد
فلئن ولكن قد خصصت بفضلها ... بيدا أخيرا هو أول متطرة
إن أول زعموف سيد قومه ... كليوا ، فزانك للبرية سيد
شمس وهل تختص ناحية بها ... وشعاعها في كل أفق غمجد[٣١]

وسوف نرى ان ايمانه بالاسلام هو ايمان بالعروبة أيضاً ، وهذه هي المحجات الثلاث ، الله والاسلام[٣٢] والعروبة ، وسنفصل المحجة الثالثة بعد قليل في بند خاص . لكن ما ينبغي الإشارة اليه هو ان هذا الايمان بالله وبالرسالة المحمدية بشكل وحدة روحية ، هي مفتاح شعر الأثري كما أوضح الجابر . يقول الجابر ، في ختام بحثه القيم « الوحدة الروحية في شعر الأثري » ، لذا بعد هذا كله ان نقرر ان الاتجاه الروحي يبقى قائماً مشتركاً بين نصوص الشاعر (الاثري) ؛ بل ان القصيدة الاسلامية الغراء تبدو الرافد الثر الذي يمد جل نتاجه الشعري جذوره في تربة شاطئيه ، فيستمد من فيضه نبض الحياة والنماء والتجدد ، وبهذا الوعي نستطيع ان نقرر عمق (الوحدة الروحية) في نتاج (الاثري) الشعري ، وامتداد آثارها الى اكثر نصوصه ، سواء في مضامينها الفكرية ، او في بنيتها الداخلية ، ولغتها ، وتراكيبها »[٣٣]

والجابر لا يقصد ان معاني شعر الاثري تستمد معينها في افكارها الكبرى من العقيدة ، مثل ان العقيدة فيها توحيد الامة العربية ، وتوحيد العراق عربياً واكراداً ، وفكرة الحب الالهي ، وعروبة الاسلام ، بل هي يقصد ان البناء الداخلي لقصائده وعناوين قصائده ، والفاظها مستمد من القرآن ، ومن شخوص الانبياء والقصص القرآني . وهذا لا مجال لا بضاحه هنا[٣٤] .

وكما قلت سابقاً ، يوجد تطابق بين حياة الاثري وشعره ، ولذلك اجد من اللازم ان اضيف الى قول الجابر ان هذا الاتجاه الروحي ليس هو القاسم المشترك بين نصوص الشاعر وروافد نتاجه الشعري الخ ، فقط ! بل هو مفتاح شخصيته كلها ، فكل حياة الاثري منذ شبابه الى ان تواه الله تعبر عن سلوك ومواقف وافكار رجل مؤمن بالله ، مسلم العقيدة ، إسلامي القيم والرؤيا ، وسنجد انه في بقية سجاياه وخصاله الشخصية لا يتصادم ، بل يتلاءم ، ويستمد معينه من هذا الاتجاه الروحي ، سواء في موقفه من اللغة العربية ، او رؤياه للانسانية او دفاعه عن الحرية ، او مواقفه السياسية من قضايا الامة او النظر الى تراثنا والى الحضارة الغربية ، وحتى في رؤياه للجمال ، البشري والكوني .

٢ ـ الاثري المتغني بالعروبة واللغة العربية .

ليس أدل على هذا من انك بمجرد ان تذكر اسم محمد بهجة الاثري يتبادر الى ذهنك وسمعك الاثري اللغوي ، الاثري العالم بالعربية وفقه اللغة ، وربما كان هذا الحب للعربية والتمكن فيها هو السر وراء اختيار خمسة مجامع علمية عربية كبرى له عضواً عاملاً ، ويغلب على نفسي ان هذا الاختيار له ليس سببه انه عالم دين وحسب ذلك انه في امور الاجتهاد الفقهي والمتعلق بالمعاملات الحياتية ليس له هذا البروز والتميز الذي له في امور اللغة العربية وفقها واسرارها كحجة لا يبارى .

والاثري عالم اللغة الوالد في حبها لا يبخل علينا بما يصدق حكمنا :

أسمعه وهو يحيي « لغة القرآن » اللغة العربية سنة ١٩٦٥ في قصيدة « الفصحى سيدة اللغات » .

سلام ومن عليك أني رؤوم ... على لها في الحمد ذيل غريم
سلام على أم اللغات ، على المدى ... سلام أخيل بالجمال هيوم

الى ان يقول :

ألم لفات العالمين بلاغة ... وطيب مذاق واختلاف طعوم
بهائك ؟ أم نبع من الخلد كوثر ... ترقرق عذباً ؟ أم رحيق كروم
تجاوز أعناق الدهور ، وحسنه ... يزيد على الايام حسن رسوم
سقى كل لماح البيان زلالة ... فحسّن ، ورواى طبع كل حكيم

ثم يقول :

ولد وسعت دنيا ، ونلت بيولة ... وراء حدود للقنا وتخوم
وصافت كعرق النير أسمى حضارة ... تحلت بآداب سمت وعلوم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ويختم :

فدى لك ، يا زهر الجمال وسرّه ... لغاتٌ الورى من جاذبٍ وقسيم
حبيبك حبّا ، يعلم الله أنّه ... أمرٌ من ابني صوته وحميمي
ولو ساعتي دهري بحبيبك ، عوّاد حياتي جسداً ونعيمي[١٠]
لافتدتُ

وهناك عدة قصائد رائعة ، ويحار الباحث المتذوق ماذا يختار ، فهذه قصيدته « الفصحى رباط الوحدة الكبرى » ١٩٨٨ ، فيها لمسة ذاتية وعبارة حد الوله للغة العربية بداية مطلعها :

أحبتُها حُبّ نفسي ، والهوى غَرَدٌ ... وحُبُّها الروحُ والريحانُ والزهَدُ
وهي هبطت وحياً :

سريةً ، وكذلك أنها هبطت ... وحياً ، له تخشع الارواح والجُمَدُ
عريقة المولد الميمون ، اولها ... مع « الخليقة » و« الارض » لها الأبد

ويستمر الثناء عليها ، ليوضح بعد ذلك عن مشاعره الذاتية الحميمة :

يا دين قلبي منها ! والهوى قدَرٌ ... وخافقي ببهاء الحُسن متّحِدُ
لج الهوى بفؤادي لا هدوء له ... يا بزنة ، وهو بشوبني ويفتقدُ
إني خلقتُ لصوت الله ، ثُمّ لها ... ومنه كونُهما والنطقُ والقيدُ
هام الفؤادُ بها حُبّاً ، ولا عجبٌ ... هي الحياةُ اول من وصلها خلدُ
مِنْ نزها في إيواء إنا لهمتك ... يوحي ، ومن نزها المنثور في عَلَدُ
ليلاي ـ عمري وعيشي في صبابتها ... وسحرها هو في قلبي الذي أجِدُ
نديمتي ، والهوى ما بيننا رحِمٌ ... يُدانِسُ الروح من أنفاسها رَشَدُ
وسرُّنا هو سرُّ الله ـ ألفتنا ... على الخُلد ، تُنافيه شريعتُهُ
أهلٌ غمري موصولاً ـ بمهجتها ... وثن أثارتها او يهلك الجسدُ[١١]

وفي قصيدته « لغة القرآن » ١٩٨٤ م نجده يتغنى بوصفها ومآثرها ، ويرد على الطاعنين لها ، او المستهينين بها ، ونجد في القصيدة علاقته الحميمة بها وهو مزدانٌ من القصيدة كلها :

ونديمي في حُبّ (ليلاي) لمسي ... ما تُنيلُ العلاقةُ المعصماء
طُبتِ دائم ، ويوصلُ مقيمٌ ... والتنائات خافقي ، وارتواء
ولـ (ليلى) عهدٌ مع العمر باقٍ ... والهوى عهوجُفلٌ هواء
لا يُسلّي اللّوامُ إن جهلوني ... كلّ نفسٍ لها هوى وضياء
إصطفاني لها الذي نوّع الخلـ ... ـق وأغلى من شاني الاصطفاء
قد تعلقتُ مُذ صباي بـ (ليلا ... ي) وصحّ الهوى ، ودام الولاء
كلّ شيءٍ سلوتُ ، إلّا هواها ... وهواها في فؤادي وفاءُ[١٢]
الثمانون ـ قد أراها استقام الـ ... ـحمرُ فيها من وصلها ، والصفاء

وفي قصيدة « اللغة الهندسة المنغمة » يقول :

عشقناها وعشنا في هواها ... فتاوى ، لا نملُّ سوى ظلاها
ثم يقول :

تعالى الله ! أنشأها فسوّى ... وأعطاها الطّلاقة واصطفاها
أقلّ بـــا لعليا مـا أقلّت ـ (كلام الله) ، فاستعل عُلاها

الى ان يقول :

هي (الفصحى) ـ لنا بيتٌ ، وحقٌ ... علينا بزها وجنى رضاها
نُعظّمها ، وقد كرمت علينا ... كما عُظّما بها عظماً وجاها
رباط (الوحدة الكبرى) وفتدى ... مطامحها الرّغاب ، ويرتقاها[١٣]

فهنا احب الاثري اللغة العربية من خلال الاسلام ، الدين الذي نزل بالعربية ، لكن تعمقه فيها واطلاعه على اسرارها جعله أسير سحرها مخلصاً لها معظم جهده ، وليس ها هنا تناقض بين قولنا ان اتجاهه الروحي هو مفتاح شعره وشخصيته وبين حكمنا الآخر ، لذلك انه وجد ان خير ما يمكنه ان يخدم به الاسلام ـ الى جانب سلوكه كمسلم ودفاعه عن قيم وحضارة الاسلام وقضايا الأمة العربية ـ هو خدمة اللغة العربية ، خصوصاً وقد تهيأت له هذه الفرصة من خلال المجامع اللغوية العديدة التي هو عضو فيها ، بما لم يتهيأ لاحد سواه ، وهي الميدان الأبرز لخدمة اللغة العربية .

وهنا ناتي الى قضية « العروبة » ، عنده ، فهو يرى ان الاسلام عربي وعالمي في آن واحد عربي من حيث ان الذي جاء به وهو الرسول (ص) عربي ، والذين حملوا الرسالة هم العرب ، وهو في الوقت نفسه عالمي للبشرية جمعاء ، والاثري يرى تكاملاً بين العروبة والاسلام .

وهذا شعره ناطق بذلك ، فهو يقرن الدين بالعروبة دائماً ، وبالعكس .

يقول في نفس القصيدة السابقة :

هوى (العروبة) في توحيد نبلتها ... و(بوتقة اللغة الفصحى) هي الشدّ
هي الزعامة ، و(وحي الله) نولتها ... والعقل ، والعلم ، والايمان ، والرشدُ
لسان ارض (عبريل) وأكبك ... فاز الحضارة ، واستوى به العلمُ[١٤]

الى ان يقول :

يا نُدم عيني كؤ أحيا الى أمدٍ ... ليبقى (الوحدة الكبرى) وما كبّدا[١٥]

وفي قصيدة « الامة العربية في مواجهة العواصف » (١٣٦٨ هـ) يقول :

رُبّ ليلٍ ـ بكّ موصول الاليل ... يتنزى شجني تخطرما
باكياً تحمد الشموس الافلين ... ومسابا بالمعالي قلفما
أمةً ـ غرك بدنيا وبدين ... كون لك واستحالت أمما

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سامها ما سام الهوان (منها)
في الليالي زمنٌ تو ريبه
بثلمة تصيف ريح بعيد
فتصف الحكم بها في العقب

الى ان يقول :

يا (رسول الله) حيّ المرسلينْ يا نخيل (الغرب) غابات الفخارْ
ثمّ ناهيك حفاوٌ في العالمين كيف بعد الفخر تلوى في الإسار
عندما ما قلت من دنيا ودينْ فقضى الله عليهم بـــالهبـــوط

أركضوا الأهواء فيهم خيلها
وبنوا مجدهم بالنجب
كلّ مرّ كلكلٌ يدحو مذهبا
ويحوهم ـ لم يتركوا من مذهبا[٣٠]

ويختم قصيدة « في القيد نزأر » ١٩٣٦ م بقوله :

لتقرّ النفسُ أنّ يومَ (العرب) الفتى يقم فوق شتى وتنهل شدقا
إنّ (العروبة) و (الاسلام) ـ ما انفكّا لها من (قدى الاسلام) روح يخفق[٣١]

ويخاطب دمشق في ذكرى جلاء فرنسة (١٩٤٧) مصوراً العروبة والاسلام كجناحين لها :

يا شرقُ ـ لم تكُ يوماً لاسرها ويـــا فتاة الطـاعم الطاعمين
إنّ (العروبة) و (الاسلام) ـ ما انفكّا لها بواميـــك في عزّ وتمكين
عما جناحاك ـ مدّ (الله) هيّأهما على البرية من دنيا ومن دين[٣٢]

وفي قصيدة (مصر والعراق) ١٩٣١ م، نسمع :

سيروا بنا ، والسابقون الى العلى أخرى بأن يعلوا بنا أطلالا
نحو (الهداية) من بناء (تحمّلوا) زُمراً ، على (فرقانه) تتلألأ
الهدي ، هدي (العربيين) الأولى غنت الانام بعظمهم أمثالا[٣٣]

الاتربي الانسان

لا تجد عند الاتربي تعصباً في حبه للاسلام والعروبة بحيث ينسى البشرية ، فتجد عنده قيماً تتسع للانسانية جمعاء . وهذا شعره ناطق بذلك .

ففي قصيدة « إن أهلي كلّ إيثار وحب » يقول :

يا همومي ! تأخري ـ ما باهلي من همومٍ بأن تُدافع أمثـلي
أهلي الناس إذ يكونون سلماً لا يعادون ، مثل سلمي واعدلي
إن أهلـــي كلّ واني بعض أنـا ثانٍ ، وضدّ أهلي أوّلُ

الى ان يقول :

قد شكرت الشحاب جاد غداة كلّ أرضٍ ، ولم يخُص ويبخل
لا تطيبُ الحياةُ عندي ، إذ عيـ ـشُ أناسٍ جففتُ ، وهويَ نعلي
أبسط الأفق ـ لا تضيقُ غداة وسع الناس ما تقيمُ وترحلُ[٣٤]

ومع انه يتحدث احياناً باسم « الوطن » وه الاهل » لكنك تشعر انه يقصد كل الخيرين في هذه الأرض . يقول في قصيدة « الوطن »

وفدي وعزّي فيه ـ مارفدتْ كفـافـةٌ ، واعشـرّ جانبـهُ
لا خصلتي غيبتْ بباطنةٌ لم تنتظم وطني خـوالبـهُ
وطماي ـ لا يطغا على كبدي إن جاورتْ قومي سحائبهُ[٣٥]

ويمتد حبه للمخلوقات الاخرى ، وخصوصاً الطير ، فهي تثير حيناً بالحرية والتحليق فلا قيود تذكره أخرى بالظلم والسجن ، حينما يرى ان بعض الناس تتلذذ بحبس الطير . اسمعه يقول :

أحنين بهذا الطير حرّاً فارهاً ملك الفضاء وجال فيه ونوّما
الله أوجـده يُقـرد للبشـا خرّ الجناح ، يملكه فتخرمّا
أولاه ما أولى ، ليحيا هـانئاً حرّ الطبيعة ، لا ليسجن مرغما

الى ان يقول :

إنّ الذي خلق القلوب حوانياً قد خالط الإشفاق منهنّ الدما
قسّى وملّط بعضها ، فاستبحتْ فيها الشرورُ نموّها وتعرّما

وبعد ان يوضح ان هذه القلوب تتلذذ بسجن الطير وسماع اصداء التكالى يقول :

لا تمُ ! أسألك الحنان ، فهبهُ لي أرقي القصيد تحنناً وتحرما
للطير يوحي أن أعاون شرهقاً ويروع قلبي أن أساعد مغدما[٣٦]

٤) خصال وخصال : شعوره بالحرية ، اباؤه ، رفضه للظلم ، وعدم المساواة لسلطان ، غير سلطان الحق ، ورفضه للتزلف والمدح ـ الخ من الصفات الانسانية العالية ، ولندعه يحدثنا بقول في قصيدة « خاتم لرسل الله » :

يا من تجلى على الدنيا سناً وشذا ورحمةً يفدى للعرب والعجم ،
عانيت بدينك دنياي التي حسنت ويراق طيبي في راقوقه ودمي
فلا أساسر الا النيل في كلمي ولا أراود في نعلي سوى الكرم
أجلو بنورك في نعلي وفي كلمي ما يعتري (الحق) من اظلم ومن قتم
كما سننت ساسنن الهدى ، رفداً في الخير ، ما عشتُ عمري ثابت القدم[٣٧]

ويقول في « أمة العز والعلى » :

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

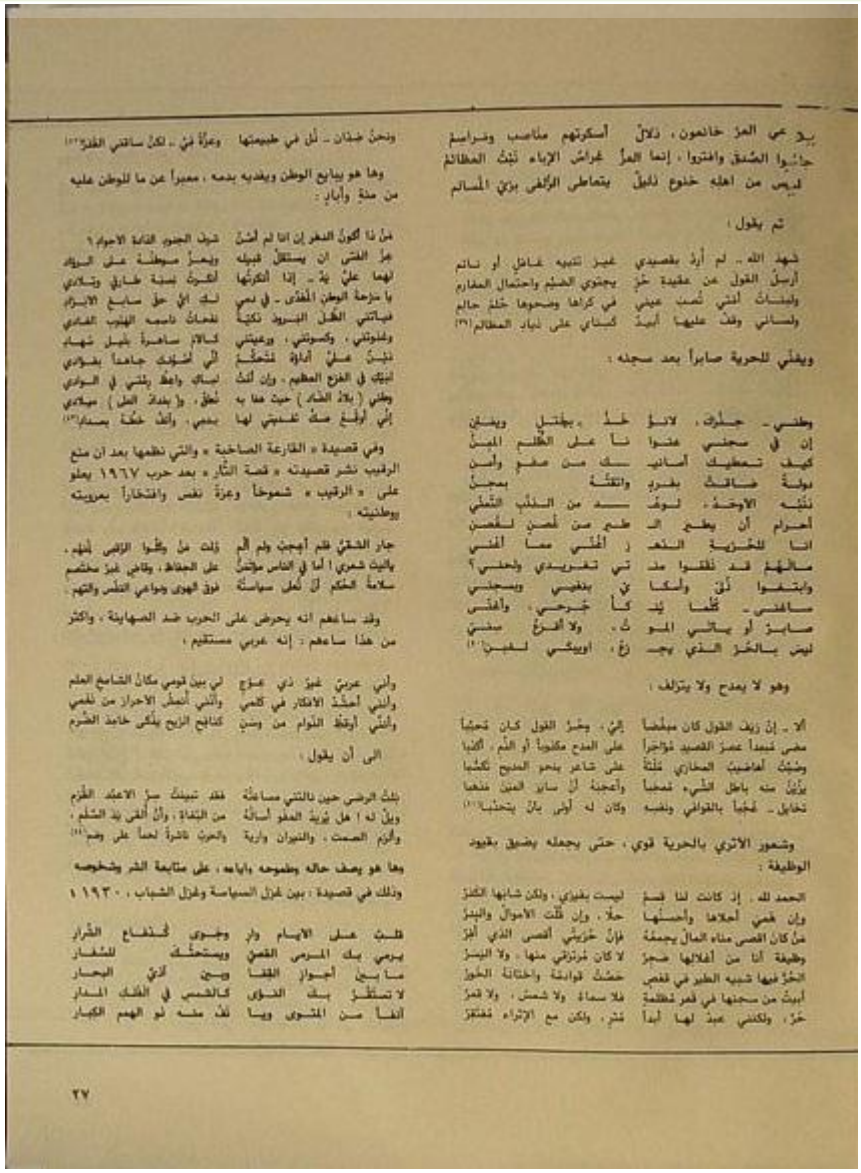

يرو بني العز خالمون ، ذلالاً أسكرتهم مآدب وشرابُ
جاثوا الصَّدق وافتروا ، إنما العزُّ غرائز الآباء ليْسَ المطالبُ
ليس من اهله خنوع ذليلٍ يتعاطى الرَّاقي بزيّ المسالم

ثم يقول :

شهد الله ـ لم أرد بقصيدي غير تنبيه غافلٍ أو نائم
أرسلَ القول عن عقيدة حرّ يجتوي الضَّيم واحتمال المغارم
ولبيتاتُ أمتي نُصب عيني في كراها وضحوها خلفَ حالم
ولساني وقدْ عليها أبيدُ كبُغاثٍ على ذيار الحمائم[٣٩]

ويغلّي للحرية صابراً بعد سجنه :

وطني ـ حبُّك ، لاثمٌ خدَّ ، يهتبلي ويضمّ
إن في سجني عذوبا تا على الظّلم المبرَّ
كيف تمحيك أمانيـ ـك من صفو وأمن
دولة ضاقتْ بفردٍ واتقتْ بمجرم
تتّقيه الأوحدَ ـ لوفد ـ ـه من المذنب المتّهم
أحرام أن يطيح الـ ـطغم من غصنٍ لغصن
انا للحُرّية النعـ ـرا الّتي معنا المني
مالهم قد نقضوا مد تي تغريدي ولحني ؟
وابتغوا أنّى ولكنـ ـا بنفسي ويسجني
سأغنّي ـ كلّما زيـ ـد كأسُ جرحي ، وأغنّي
صابرٌ أو يأتي الموـ ـتُ ، ولا أفزعُ منّي
ليس بالحُرّ الذي يجـ ـزعُ ، أو يبكي لغبن[٤٠]

وهو لا يمدح ولا يتزلف :

ألا ـ إن زيف القول كان مبلّطاً إثمٌ ، وجُرُّ القول كان تحيّزاً
مضى تبعداً عصرُ القصيد فؤاخراً على المدح مكتوباً أو الذّم ، أكثرا
وصَيَّتُ أهاضيبَ المجازي مَلَلةً على شاعرٍ ينحو المديح تكسّبا
يزيّنُ منه باطلَ الشّيء تمحيا وأعجبُ أن سارَ الفتى منهما
تخايل ـ فخراً بالقوافي ونفسه وكان له أولى بأن يتحنّبا[٤١]

وشعور الأثري بالحرية قوي ، حتى يجعله يضيق بقيود الوظيفة :

الحمد لله ـ إذ كانت لنا قسمٌ ليست بقيدي ، ولكن شابها الكدرُ
وإن همي أحلاها وأحسنُها حلاً ، وإن قلّت الأموالُ والبدرُ
فإنّ حُرّيتي أقصى الذي أفزُ هل كان أقصى مناه المالُ يجمعهُ
لا كان فُرزتي منها ، ولا اليسرُ وظيفة أنا من أغلالها حجرُ
حفّتْ قوائمُه واختانهُ الحَوَرُ الحُرُّ فيها شبيه الطير في قفص
فلا سماءٌ ولا شمسٌ ، ولا قمرُ أبيتُ من سجنها في قعر مظلمةٍ
حُرٌّ ، ولكنني عبدٌ لها أبداً غدٌ ، ولكن مع الإثراء نفتقرُ

ونحنُ ضدان ـ لُبّي في طبيعتها وعزّةٌ فيّ ـ لكنّ سافني القدرُ[٤٢]

وها هو يبايع الوطن ويفديه بدمه ، معبراً عن ما للوطن عليه من منّة وأيادٍ :

هلْ لنا أكونُ الدهر إن انا لم أشنّ شبّ الجنوب الثائرة الأحرار ؟
عزّ الفتى ان يستقلّ قبيله ويعزّ مسوطة على الأوكار
لهما عليّ يدٌ ـ إذا انكرتُها لكثرتْ بسبة طابقي وتلادي
يا مزهرة الوطن المفدّى ـ في دمي لبّك إني حقّ سابغ الإيزار
فيباتتي الطّل البرود تكيّباً نفحاتُ دامسه الهبوب القاري
ولمدوتي ، وكسوتني ، ورعيتني كالأم ساهرةً بليل شهام
نبّئتُ عنكِ أناملٌ مُتحكّمٌ إني أشدّك جاهداً بفؤادي
أبنيكِ في الفرع العظيم ، وإن أنث نباتي واعظٌ بفتني في الوادي
وطني (بلادُ الشام) حيث هنا به نُطقي ، وبغداذ العلى) مبلاديِ
إني أوقّع منكَ تغديتي لها بدمي ، وأنتِ خلّدي بمداد[٤٣]

وفي قصيدة « القارعة الصاخية » والتي نظمها بعد أن منع الرقيب نشر قصيدته « قصة الثأر » بعد حرب ١٩٦٧ يعلو على « الرقيب » شموخاً وعزة نفس وافتخاراً بعروبته ووطنيته :

جار الشقيّ فلم أهبهِ ولم ألم ذلت منّ وكُبّوا الرّاقي لمهنه .
يا أيها شعبي ! أما في النّاس مؤتزرٌ على الجهاد ، يقاضي غيرَ مختشم
سلاحُ الحكم أن تُعلي سياستُه فوق الهوى وجواعي النفس والتهم .

وقد ساءهم انه يحرض على الحرب ضد الصهاينة ، واكثر من هذا ساءهم : إنه عربي مستقيم ،

وأني عربيّ غيرُ ذي عوجٍ لي بين قومي مكانُ الشامخ العلم
وأنني أصدّ الافكار في كلمي وأنني أصلُ الاحرار من لغمي
وأنني أوقظ النوام من وسنٍ كنابح الريح يذكي خامد الضّرم

الى أن يقول :

يلذّ الرضى حين ألتقي مساءلةً فقد تبينتُ سرّ الاعتد الغُرم
ويلٌ له ! هل يُرية العفو أساءةً من البغاة ، وأنّ ألقى يد السّلم ،
وأزم الصمت ، والنيران وارية والحربُ ثائرةٌ لعماً على وضم[٤٤]

وها هو يصف حاله وطموحه وإباءه ، على متابعة الشر وشخوصه

وذلك في قصيدة ، بين غزل السياسة وغزل الشباب ، ١٩٣٠

قلبٌ على الأيام وارٍ وجوى كُتمانه طرّار
يرمي بك المرمى القصيّ ويستحثّك للشفار
ما بين أجواز الفضا وبين آذي البحار
لا تستظلّ بك الذرى كالشمس في الفلك المدار
ألفاً من المثوى وبا لذ منه ثم الهمم الكبار

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ويخاطب قلبة بعدم اليأس :

إن كان ثلة قد نهتها بك نازلات شمس النهار
أنى لأرى حلكة قد تم فلا تمالوه أو تجار
بل مر على وضح الحقيقة والحقيقة لا تجاري
فسوف تزهق بالعلم ، فنهل تقاطر بالدمار
ولتعلم أنني إن بقيا إن لاحقت كبرة القهار
تبقى حملاً القلب أيقظ القلب العام
ولتعلم أنك إن تتابع ساريهين على القهار
بكفاحهم على الطغا مع كالفراش والفيواري
تتكافحهم على القا سب والمواطنُ في نمار[١٠٢]

وبرغم كل تجلده واحتماله حزيناً ، تاعياً على المكتوبين من رفاقه في الدرب ، وخصوصاً من اشياخ الدين ، وذلك بعد النكسة ، اي بعد سجنه وانتهاء ثورة مايس ١٩٤١ ، ومطلع القصيدة :

الا ، هل الليل يا العراق) أماحة صباح تبزغ الداجيات سوالكا
ليسل به واليأس ، إلا شعلة من الأمل الباقي لدى كفاحها
تضاءله عبير الإباء ، كأنما أقامة رواق الفن فيه غياهبا

ولكنه برغم ذلك يظل صامداً على موقفه ورأيه ، برغم ما يذيع خصوم الثورة ، وما يقوله لدن الحكام المنصورون :

فلام لعمري ما نراه ، وإن تكُن تُنار بلألاء الدُّموع جوانبُهُ
رأيتُ الهدى فيما أراه ، وإن يكُن ضلالي به ، او كان قرأ غواقبُهُ

ثم يعقب على الأشياخ المكتوبين :

عتبت على الاشياخ حين تكونوا وكان ترى أمثالهم عن أمانيه
الا وازع من خشية (الله) ، يتقي حياءً ، ومن شيب تداعتْ رقابُهُ
أني الشرع أن يُهدى برأي وضده ويجاهدا جاز لجار إضافة
أسفتُ على الدين الإلهي ، إذ غدا تُنادَ به الدُّنيا ، وتُجنى ضرائبُهُ

ونجد نفس الوقفة وعزة النفس والاباء في قصيدته « مرحباً بالنفي » وقد نظمها بعد الأولى العارة الذكر ومطلعها :

تبقى نفسي الى (الفاو) يا بشير
مرحباً بالنفي والسجن الخطير

ويقول فيها :

مجمع الثائر أفاق السما وكذا مطمح روّاد الثغور
أثراه ، إن هوى ، يضرعه نبأ السجن وإيغال المسير ؟
في سبيل (الله) ، ما أنفكه من عنت الجور ، وفي المعتقد الخطير ،
كان شعري في مآسي أمتي عن آسائي وشكواي وصفيري

ومن اعماق سجنه في ١٩٤١/١٢/١ نجده يقول في نفس المعنى والقوة يقول في قصيدته « هتاف الغربة »

ألا في سبيل الله والوطن الغالي بعادي عن داري وعرشي وأطفالي
عصائبُ لاساعٍ يروحُ عليهمُ سوائحٌ ولا راعٍ يحوط ولا والي

ثم يقول والضمير عائد الى الله والوطن ، لاجلها ، اما الضمير في فهم قصائد لاولاده واهله :

لاجلها أرخصتُ غالي مقتهم واهنتُ أوطاري ، وبعثرتُ آمالي
وخلّفتهم للبؤس والفقر والضنى عوائر لجدام ، مواسف لعوال
ولكنْ لوطانا ، نصبتُ بخيمها سائرها نوماً على الشمس والآل[١٠٣]

وبعد ان يصف السجن والمنطقة (الفاو) وهي بيئة تخلق الانفاس ، وخامة وغياراً ، ومايحيط بالسجن من اسلاك وحرس وهو وصف رائع جميل مؤثر يقول :

جماع نفوسٍ مدنعٍ ، وطنياً ما[١٠٤] تسيطُ أنواءُ الحسان وأفعالي
وإيمانُ ـ مذ يهو الكراما ، تم يبن تقلّب ضاغٍ ، أو تعلّي تختّالِ
جلدت على تكريم قومي ووطني وني لهما يُبسي ، ناتهما سالي !

وفي قصيدة « انا والعلى ومطامع التشييد » وقد وصله ان السلطة ستطيل سجنه :

حنق الوزير عليّ ، لما جاءهُ تجري ، وأوعدَ أن يزيد قيودي
بشراي إني سوف ارهق نفسه سعداً ، وأحرقُهُ بنار قصيدي
لست القليل ، فاربعيه تودداً ليكفّ من أسرى قرا تصفيدي
هل ناقمي قيدي يفك ، وأمتي في القيد ؟ ما أنا بينها بوميد .

[١٠٥] سجّني هنا ضلّتْ روايةُ بُقعة ليست بسجن ، في (العراق) ، شديد

ونجد مجموع سجاياه ، وخصائص طبعه وشخصيته في قصيدته الرائعة « سوء المنقلب » بعد ان اخفقت ثورة مايس ١٩٤١ وعاد الحكام السابقون يطاردون الاحرار :

ليس الشكاةُ من الايام ، من دِيني
يأبى اعتزازي بنفسي موقف الهون

وبعد أن يصف سوء احواله يقول :

إني لأشرق أن أدعوا ولو ملكاً تذيل هامي بأبي ، إذ يلبيني
لن أسأل (الله) إبقاءً على نفسي بما به في البرايا خفض عرنيني

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فإن شكا فتعبيراً عن مصاب قومه :

لاتحسبني أخا شكوى إذا ارتفعت ... عقيرتي بشجي من أراجيزي
وهبت نفسي لقومي، فهي جازعةً ... مما يقوني من ضُرٍّ يُعنيني
ثم يعود بين أبياته :

الموت أهون عندي من مصائبهِ ... جراء بلة عيشٍ غير مأمونِ
ماكنت أرفث في الاخلاق منقلباً ... بحيثُ يُلفيني من كان يغريني[٢٨]

ثم يصف الانتهازيين والمتلونين وزمرهم فيقول :

لو استطعمت أحراري اللئام شاوهمُ ... إني لأبركت حظي غير مأمون
وهل لمثلي أن يهوى غوايتهم ... وأسخط تطعمني الدنيا وتغريني
قد بعت دنياي ، يامنْ ظلّ يملكها ... بعون نفسي فحرّماها كلها دوني
فديتُ عنك وعما انت مالكهُ ... وبلغةً من شريف العيش تكفيني
لمضاي يا(الله) ان لم يدن نو شرو ... الا بمال الورى ، و(الله) يُغنيني[٢٩]

(٥)الاثري : بدور من «الغربة» «والحذر» والتشاؤم

و«العقلانية» في النظرة الى المذاهب والطقوس العامية والحياة .

لم أجد عنواناً واحداً قصيراً لكل هذا الذي يستشعر قارىء ديوان الاثري ، ومن يعرف شخصه وجزئيات مواقفه من أمور المعارسات «غير المعتدلة» عند بعض المتدينين وخصوصاً مايشيع العامة والناس العاديين من ممارسات وربما خرافات واوهام لايراها جوهر التدين وبرغم إقباله على الحياة والكفاح حتى السجن والفصل ، الا ان المطلع على ديوانه وحياته ، يجد عنده تربماً من الناس ونظرة فاحصة الى طباعهم تذكر بالمتنبي وابي العلاء المعري .

وربما تكون هذه اهم السمات لشخصيته الى جانب «روحانية» وتعذيه بالحرية والشمم والاباء في قصيدته ، «على قم المارد» حين اوشكت بغداد على الغرق سنة ١٩٥٤ يقول :

يانوح قم بارت بنا الايمان ... غيد الهوى وتجند الطوفان
قد غيبت عنه فاين منك سفينةٌ ... يانوح يفرغ نحوها الانسان
كانت ملاذ اللاجئين وما كنا ... بالنوح سابتجو به الحيران
قد كنت احرم من مشخوص بيننا ... زعموا الرفي وسابرء . وسانوا
عشقوا تهاويل النعوت ، ومالهم ... في الصالحات ، إذا تكون ، مكان
هم مثل قومك في الضلال ، وانما ... جهلوا على علم الزمان وهانوا[٣٠]

وفي قصيدة «الدرويش» ١٩٦٠ والتي لاأجد لها مايضاهيها في التصوير بدقة لصورة وحركة ومشاعر تخص «الدرويش» انها معجزةٌ في الوصف ، لكن مايهمنا منها انها تعبر عن موقف الاثري في بعض المظاهر الدينية الدوشية ، وهي تعبر فيما عدته عن حقيقة شخصيته ورأيه ، ومظلمها :

أيّ مخلوق أرى ؟ ماالغريبه ... هيكلٌ ؟ أم هزأة منتصبه

ثم يمضي في وصف ملبسه الغريب ، وما على رأسه ، ومسبحته وتحيته وحركاته ، وترتيبه للمال ، وصيحاته ، ومشيه ، وغنائه ، وهكذا وكأنك امام فلم حي ، ثم يختم وهذا بيت القصيد من استشهادنا بها :

أنها الدرويش تُخفي مطلباً ... كلّ من نقاذا يُخفي مطلبه
تعب الناس شياعاً بعضهم ... يختل الاخر والناس ضيعة

أترى الخدعة طبعاً ؟ من بنى ... هذه الاجساد ، فيها ركبّه
أم تراها نتجت من نُظم ... نسج الدهر عليها حقبا[٣١]
ليس نيئاً مايراؤون به ... من تهاويل شؤون وشبه

ويبدو موقفه من الحضارة التكنلوجية ، ومن الماضي والحاضر الذي لنا في قصيدته «القمر الصناعي» عندما اطلقه السوفيت ، يقول مخاطباً الغرب المتقدم :

نحنُ ولا فخر عليكم متكلم ... من الاناسي ونقرُ بالعُجز
لاتكثروا الماضي لكم مباهياً ... نحنُ بنو الحاضر لا الماضي الشتم
مايلفع الرفاد أنّ أصلهُ ... تارٌ ؟ او الخامل مجد من فخر
إنّا تفاوتنا لانّ فكركم ... مقتمل ونحن عطّلنا الفكر
وقد سمتْ أبصاركم الى العلى ... وانحدرتْ أبصارنا الى الحفر
جعلتما يوم الجمال دائما ... أيهما خير علي أم غمره
قد أُلهي العقل تدبهم جهرةً ... قدْ عُبد الميتُ وقُبس الحجر
واخترعتْ من الخرافات لهم ... شرائع يقرها الشرع الأمر
يرث ذي شعيذة دانتْ لنا ... في الشرق أقوام بطولٍ وأمر[٣٢]

وها هو يذكرنا بالمتنبي وابي العلاء ريب بطباع الناس وتزية في طبعهم ، وابتعاد عن «العقل» وذلك في قصيدته «الطبع الأصيل» ١٩١٦ .

الناس كالناس قدْ كانوا كلهم ... الى القيامة «قابيل» و«هابيل»
فلا ترج سوى ماعند أولهم ... من أهل جيلك ، إنّ القوم موصول
وما الثقافة من غيّ بمانعةٍ ... وإن يرثها من الاقوال تحميل
نرؤا لنا عن أناس صالحين مضوا ... وما أرى غير أنّ الامر تهويل
أين الصلاح ؟ فهلاّ خلّفوا عقباً ... يقوم منهم على الاسلاف تمثيل
قدْ رابني العصر الاحياء يقدمُ ... كأنّ كلّ ، فتى لاقيته ، أول
قالوا : فلانٌ تقيّ ، قلت ، ويحكم ... خنام تخدعكم منه الاباطيل
تقيلون كلّ اللص منه بدأ ... أول بها القطع لا لص وتقبيل

تم يقول :

متى تقوم لأهل الارض قائمةً ... فيحكم العقلُ فيهم لا التهاويل
مازال للكاهن السلطان مذهمُ ... كالما الدهر ثم يدرك تحويل

هلّوا الحنيفة واستهووا نفوسهم ... من الضلال فباب او تماثيل

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والنّثر طوع أصابعي في حبكتهِ ... وسنة فيهم بمنع القال والقيلِ
نوّاة ماتمنّتْ يوماً لهم رسُلٌ ... بالمستحيل مشرّاه وأجملُ
ماعرف المسلمون «الفكر» في عُرُضٍ ... لكن بأعمالهم «فلسفوه» تحليلا
سيعلمُ البرّ يُهدي من تواجده ... بعيدُ سنا يهدي الأرض بتكميلِ
أما ملاح بني الانسان، لارسُلٌ ... قد أنتهم ولا الغرّ الأباجيلُ[٣]

وهكذا في قصيدته «أعذريناه» ١٩٤٥، نجد شكواه من لؤم طباع الناس:

غلت الليالي في الخباع على الخلق ... حميماً من شؤمةٍ ورعاه
استوى فيه نو النّتن وأهو النفير ... سن أدم ومن حواه
لأعاقني الا الثلاثل من صفوة ... خلع الخلائق الاصفياء
عجز العقل عنه والعلم والنصح ... وأعيت وسائل الحكماء

وفي قصيدة أخرى ١٣٦٦ هـ يقول:

يُزّ مقوراً في الناس، مالناس مثل ما ... عهدت، ولا الاخلاقُ مانصف الثلث
رأيتُ ديار الصالحين بلاقعاً ... لان زعزعتها من جوانبها النكبُ
وأين وطاء الاصفياء؟ فهل سحتْ ... عليه الثنات الغُرُ لم قُطّ الكثبُ
وهلْ أرى وجهاً يودّ به سنا ... من البشر، يحيا عند رؤيته القلبُ
تنزّل وجه الأرض والغبر خسئها ... بساحٍ مقاماً لمّا مات بها العيا[٤]

وفي قصيدة «الانسان والحياة والمصير» ١٩٦٨ يقول:

ذهب الشباب كأنّهُ أحلامُ ... فعليك بازمن الشباب سلامُ

الى أن يقول:

ياساري الاحلام من أعمارنا ... نثة نياقك، لو تُحسّ نيامُ
ماهذه الدنيا؟ وفيم تقلّبُ ... للنازلين بها؟ وما الأيامُ
والعيشُ ما أبطارهُ؟ والموتُ ما ... أسرارهُ؟ والنّورُ والاظلامُ
وال متى أمم تحيرهُ وتلتقني؟ ... ويخونُ شمل الآلفين نظامُ
وسأطُ نعماء، يُذالُ سرورُه ... ريحانهُ يذوي، ويبقى الجامُ
قام العفاء بها حجاباً ساتراً ... فتساوت الحكماءُ والاغنامُ
ورأيتُ أسباب الحياة تعلّةً ... تأتي وتذهبُ بينها الأوهامُ
السابقون مضوا ونحنُ وراءهمْ ... فحياتُنا كحياتهم أحلامُ
نرجوا على لُعمى الحياة ودونها ... بُعداً، وزال تراحمٌ وخصامُ
همدوا بصيحات المنون وأسّسوا ... فهم هنالك في المقابر هامُ
خرس تُخيّم وحشةٌ من حولهمْ ... خرساءُ، رفيقتُها صدى وكلامُ
متجاورون ولا لقاءُ لصاحبٍ ... باعٍ، ولا بين الصفا استلامُ[٥]

هذه ومضات من شعره تنير جوانب من شخصية الاثري، ومازال بالإمكان التوسع، بالاستناد الى مذكرات واقوال ومأثورات هذا الرجل الذي يبرزُ قامة عالية في كل ميدان تجده فيه، ومازال بالامكان سبر أغوار نفسه فهو شخصيةٌ متعددة الملامح والجذور والآفاق، والعطاء، والحضور، وأملي أن أكون نجحتُ في سبر بعض ملامح شخصية الاثري، دون أن أحمله مالايرضاه او يُقره لو كان حياً.

الهوامش والمصادر

(١) حميد المطيعي: حسام محيي الدين الآلوسي، موسوعة المفكرين والادباء العراقيين - ج ١٨ - دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩٢ ص ١٠١.

(٢) تفضل الاستاذ حميد المطيعي فأعارني مالديه الاثري بخط يده عن جزئيات حياته (مخطوط) وفيها صورة بقلمه في المجمع العلمي العراقي.

(٣) حول هذه التسمية انظر: حميد المطيعي العلامة محمد بهجة الاثري، موسوعة المفكرين والادباء العراقيين، دار الشؤون الثقافية العامة، عدد (٦) سنة ١٩٨٨، البدايات.

(٤) المطيعي - السابق ص ١٢٥ وحول تفاصيل ومواضع هذه الحادثات بين الاثري ثلة من الرصافي والزهاوي بحث د. عدنان عبدالرحمن الجنوي، الاثري: ملامح من سيرته ومشاركاته في المجامع والجامعات العربية، ص ٣٢٦ - ٣٢٧ - ضمن كتاب المجمع التذكاري بعنوان: محمد بهجة الاثري - ١٩٩٤.

(٥) حميد المطيعي - السابق - عن الاثري ص ١٦٤.

(٦) طبع الجزء الاول منه باسم ملاحم وازهاره في القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب - وزارة الثقافة جمهورية مصر العربية ١٩٧٤.

وطبع المجمع العلمي العراقي الديوان في جزئين، الأول كمل وظهر في سنة ١٩٩٤.

(٧) أحمد مطلوب، بحثه (الاثري الانسان والشاعر) ص ١٢٤، ضمن كتاب المجمع التذكاري - السابق -

(٨) وحول تبويب الديوان بحسب الموضوعات / انظر ملاحظة الدكتور محمود الجادر في موضوعه «الوحدة الرئيسية في شعر الاثري» ص ٢٤٢، ضمن كتاب المجمع التذكاري.

(٩) عزيز اباظة في تقديمه الاثري، ص ٨، المنشورة في طبعة المجمع، وكذلك في ملاحم وأزهار.

(١٠) كذلك، ص ١٠، ويلاحظ طول نفسه، فتتجاوز معظم قصائده العشرات بل المائة من الابيات والطريف ان الدكتور محمود المشهداني يشير الى محمود المعروف بعقد موازنة بين طول جسم الاثري وبعض خصائص شعره بحثه السابق ص ٣٠

(١١) الدكتور عدنان الخطيب في مقدمته أو دراسته بعنوان الشاعر وديوانه، المنشورة في مقدمة ديوانه طبع المجمع العلمي العراقي، ص ٢٧.

(١٢) عبدالعزيز البسام، بحثه الممتاز الفصل «الاثري، المتربي والمربي» ص ٨٩، ضمن الكتاب التذكاري للمجمع

(١٣) يوسف سويد، الاسس النفسية للابداع الفني في الشعر خاصة، ط ٣ القاهرة، (١٩٧٠).

(١٤) أحمد مطلوب - السابق - ص ١٢٧

(١٥) ديوان الاثري، طبع المجمع، ج ١ ص ٥٣ - ٥٤

(١٦) كذلك، ص ٥٨

(١٧) كذلك، ص ٥٩

(١٨) كذلك، ص ٥٦

(١٩) كذلك ص ٦٦

(٢٠) كذلك، ص ٧٦

(٢١) كذلك، ص ٧٧، ٧٩، ٨٠

(٢٢) البسام - بحثه السابق - ص ٨٩

(٢٣) الجادر - السابق - ص ٢٧

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(٢٤) الحاضر - السابق - المواضع للتفصيل، ٢٢٣، ٢٥٩، ٢٦١، ٢٦٧.
(٢٥) الديوان - المجمع - ص ١٢١ - ١٢٤
(٢٦) كذلك، ص ١٥١، ١٥٢، ١٥٤
(٢٧) كذلك، ص ١٣٦ - ١٣٧
(٢٨) كذلك، ص ١٤٦، ١٤٨، ١٥٠
(٢٩) كذلك، ص ١٥٦
(٣٠) كذلك، ص ١٥٩
(٣١) كذلك، ص ١٩٨، ٢٠٧
(٣٢) كذلك، ص ٣٠٢
(٣٣) كذلك، ص ٣٠٥ - ٣٠٨
(٣٤) كذلك، ص ٣٥٨، وانظر قصيدته جامة العز والعلى، ص ٩٤ فما بعد
(٣٥) كذلك، ص ١٠ - ١٠١
(٣٦) كذلك، ص ١٠٥
(٣٧) كذلك ص ١٩١ - ١٩٣
(٣٨) كذلك، ص ٨٨
(٣٩) كذلك، ص ٩٨ - ٩٩
(٤٠) كذلك، ص ١٠٩ - ١١٠
(٤١) كذلك، ص ١٦٤ - ١٦٥
(٤٢) عنوان القصيدة، بين العربية وقيد الوظيفة، ص ١٨٨
(٤٣) ديوان - المجمع - ص ٢١٥ - ٢١٦ في قصيدته لبيك بيت الله، ١٩٣١
(٤٤) كذلك، ص ٢٦٣، ٢٦٨، ٢٦٩
(٤٥) كذلك، ص ٣٥٧
(٤٦) كذلك، ص ٤٢١، وفي مملاحم وازهاره «عشرة» بدلا من «ميوسأ».
(٤٧) في مملاحم وازهاره، (أرى كل دهلي مضعم) بدلا من «مجماع ذهبي عندهم».
(٤٨) كذلك، ص ٤٣٧ - ٤٤٠
(٤٩) كذلك، ص ٤٠٨ فمابعد
(٥٠) كذلك، ص ٤٠٨ - ٤١٤
(٥١) مملاحم وازهاره ص ٢٩٥
(٥٢) ملاحم وازهار، ص ٣١٤
(٥٣) ملاحم وازهار، ص ٣٤١
(٥٤) ملاحم وازهار، ص ٣٧٥
(٥٥) ملاحم وازهار، ص ٣٩٠
(٥٦) ملاحم وازهار، ٤٠٠

• • •

صدر حديثاً

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفكر النحوي والصرفي عند الأثري

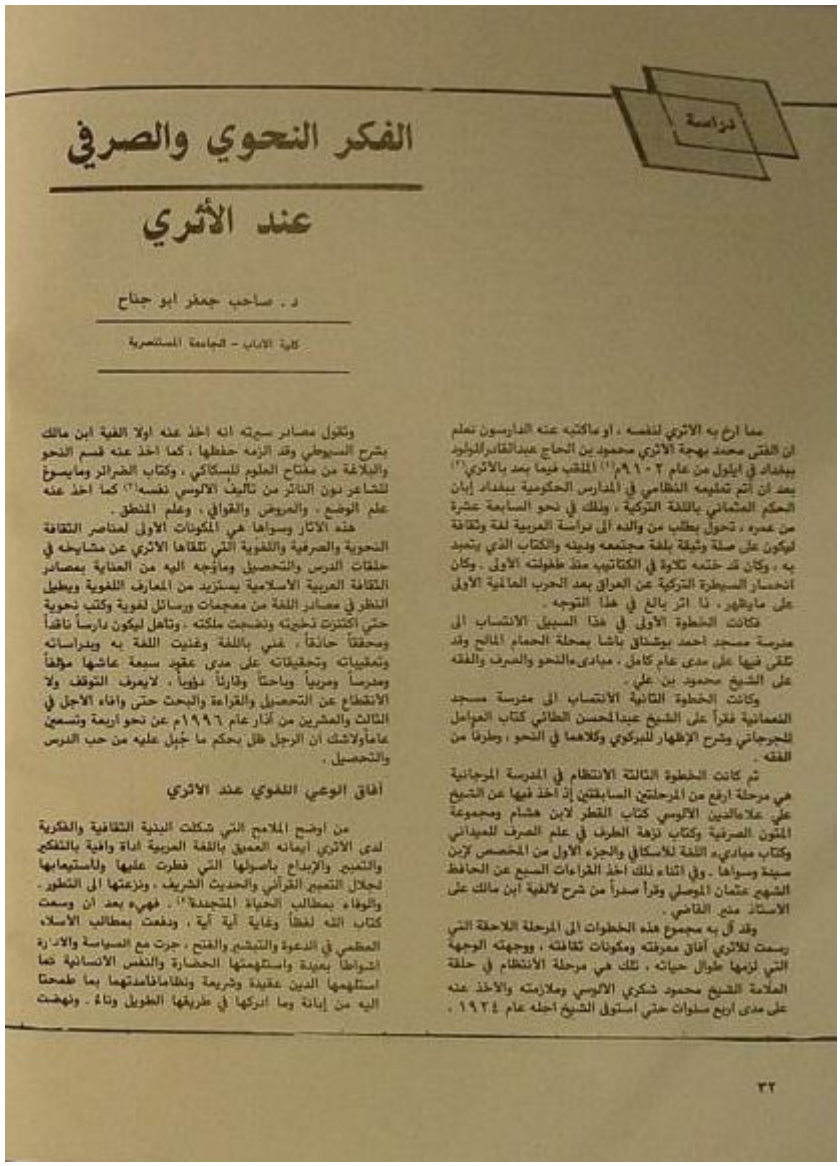

دراسة

الفكر النحوي والصرفي عند الأثري

د. صاحب جعفر ابو جناح

كلية الآداب - الجامعة المستنصرية

مما ارخ به الأثري لنفسه ، او ماكتبه عنه الدارسون تعلم ان الفتى محمد بهجة الأثري محمود بن الحاج عبدالقادر الولود ببغداد في ايلول من عام ١٨٩٢م[١] الملقب فيما بعد بالأثري[٢] بعد ان أتم تعليمه النظامي في المدارس الحكومية ببغداد إبان الحكم العثماني باللغة التركية ، وذلك في نحو السابعة عشرة من عمره ، تحول بطلب من والده الى دراسة العربية لغة وثقافة ليكون على صلة وثيقة بلغة مجتمعه ودينه والكتاب الذي يتعبد به ، وكان قد ختمه تلاوة في الكتاتيب منذ طفولته الأولى . وكان انحسار السيطرة التركية عن العراق بعد الحرب العالمية الأولى على مايظهر ، ذا اثر بالغ في هذا التوجه .

كانت الخطوة الأولى في هذا السبيل الانتساب الى مدرسة مسجد احمد بوشناق باشا بمحلة الحمام المالح وقد تلقى فيها على مدى عام كامل ، مبادىء النحو والصرف والفقه على الشيخ محمود بن علي .

وكانت الخطوة الثانية الانتساب الى مدرسة مسجد النعمانية فقرأ على الشيخ عبدالمحسن الطائي كتاب العوامل للجرجاني وشرح الإظهار للبركوي وكلاهما في النحو ، وطرفاً من الفقه .

ثم كانت الخطوة الثالثة الانتظام في المدرسة المرجانية هي مرحلة ارفع من المرحلتين السابقتين إذ اخذ فيها عن الشيخ علي علاءالدين الالوسي كتاب القطر لابن هشام ومجموعة المتون الصرفية وكتاب نزهة الطرف في علم الصرف للميداني وكتاب مبادىء اللغة للاسكافي والجزء الأول من المخصص لابن سيدة وسواها . وفي اثناء ذلك اخذ القراءات السبع عن الحافظ الشهير عثمان الموصلي وقرأ صدراً من شرح لالفية ابن مالك على الأستاذ منير القاضي .

وقد أدى به مجموع هذه الخطوات الى المرحلة اللاحقة التي رسمت للأثري آفاق معرفته ومكونات ثقافته ، ووجهته الوجهة التي لزمها طوال حياته ، تلك هي مرحلة الانتظام في حلقة العلامة الشيخ محمود شكري الالوسي وملازمته والاخذ عنه على مدى اربع سنوات حتى استوى الشيخ اجله عام ١٩٢٤ .

وتتوال مصادر سيرته انه اخذ عنه اولا الفية ابن مالك بشرح السيوطي وقد التزمه حفظها ، كما اخذ عنه قسم النحو والبلاغة من مفتاح العلوم للسكاكي ، وكتاب الضرائر ومايسوغ للشاعر دون الناثر من تاليف الالوسي نفسه[٣] كما اخذ عنه علم الوضع ، والعروض والقوافي ، وعلم المنطق .

هذه الآثار وسواها هي المكونات الأولى لعناصر الثقافة النحوية والصرفية واللغوية التي تلقاها الأثري عن مشايخه في حلقات الدرس والتحصيل وماوجه اليه من العناية بمصادر الثقافة العربية الاسلامية بمستزيد من المعارف اللغوية وبطيل النظر في مصادر اللغة من معجمات ورسائل لغوية وكتب نحوية حتى اكتنزت نحيته ونضجت ملكته ، وتاهل ليكون دارساً ناقداً ومحققاً حاذقاً ، غني باللغة وغنيت اللغة به وبدراساته وتعقيباته وتحقيقاته على مدى عقود سبعة عاشها مؤلفاً ومدرساً ومربياً وباحثاً وقارئاً نهماً ، لايعرف التوقف ولا الانقطاع عن التحصيل والقراءة والبحث حتى وافاه الأجل في الثالث والعشرين من آذار عام ١٩٩٦م عن نحو اربعة وتسعين عاماً ولاشك ان الرجل ظل بحكم ما جُبل عليه من حب الدرس والتحصيل .

آفاق الوعي اللغوي عند الأثري

من اوضح الملامح التي شكلت البنية الثقافية والفكرية لدى الأثري ايمانه العميق باللغة العربية اداة وافية بالتفكير والتعبير والإبداع باصولها التي فطرت عليها والمستهدايها لجلال التعبير القرآني والحديث الشريف ، ونزعتها الى التطور والوفاء بمطالب الحياة المتجددة[٤] . فهي، بعد ان وسعت كتاب الله لفظاً وغاية أية آية ، ونفذت بمطالب الأسلاء العظمى في الدعوة والتبشير والفتح ، جرت مع السياسة والادارة اشواطاً بعيدة واستلهمتها الحضارة والنفس الانسانية تماً استلهمها الدين عقيدة وشريعة ونظاماً فامدتهما بما طمحتا اليه من إبانة وما ادركها في طريقها الطويل وناء . ونهضت

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بمنطق ارسطو وعبرت فاحسنت التعبير عن فلسفة الإغريق وثقافات الصين والهند واساطير الأمم ، واتاحت دائرتها للعلوم والفنون والاداب التي عرفتها عصور العرب الذهبية وكانت تربي على ثلاث مئة عداً ، بيتها كثير مما لم يهتد اليه اهل التمدن الحديث ولا بعد ان نضج تمدنهم في المئة التاسعة عشرة الميلادية كالسياسة المدنية والشرعية وتدبير المنزل والاقتصاد السياسي والعمران والاجتماع وفنون الحرب وآلاتها ونحو ذلك من مبتكرات العقل التي جالت فيها اقلام القوم وانت منها بالبدائع والروائع[٥]

واستغرق الأثري ايامه وازمانه يحيا مع الفصحى التي يرى فيها وعاء لثقافة الأمة العربية ويجد فيها من حلاوة اللفظ وجرسه وفصاحته ، ومن طلاوة البيان وسحر البلاغة الساحر مايفسر سر استغراقه فيها ، والعكوف عليها دراسة وتأملاً واستمتاعاً [٦]

وينتهي به هذا التأمل الى ان العربية تجاوزت - بما تميزت به من خصائص نشأت فيها من روح الأمة العربية وتجاربها خلال الاعمار التي اجتازتها ، مجرد التعبير عن المقاصد الى تحمل معاني الوجود ومبدعات العقول [٧]

وقد تميزت من هذه الخصائص أولاً بهيأتها وموازينها وقوانين اشتقاقها وتميزت ثانياً بكمال مخارج حروفها من مهموسة او مجهورة ، وبروعة موسيقاها وحلاوة نغماورقة جرسها ، وتميزت ثالثاً بهذا الفيض الغزير من مادتها وفرط غناها من الالفاظ الموضوعة بإزاء مختلف المعاني وابق الفروق [٨]

وقد اورثه هذا الايمان العميق بالعربية ، وهذا الشغف بعبقريتها حرصاً بالغاً على العناية بها والاهتمام بمشكلاتها التي تواجهها سواء كانت هذه المشكلات تتصل بالرسم اوبالنطق ومايتعلق به من قواعد الاشتقاق والتوليد والدلالة وسواها من مجالات النمو اللغوي .

لذا يتحمس الأثري لدعوات الإصلاح التي يبادر بها المخلصون لهذه اللغة الحريصون على ازدهارها فيكتب بحثاً في قواعد الرسم يقر فيه بان الزمن كان ومايزال صالحاً لتنفيذ كل اصلاح يحفظ الأصول ، ويقرب الغاية ويحقق النهضة ، من الإخلال بحق الأمة العربية وحق نهضتها العتيدة ان تكون أولى وسائل المعرفة عندها اداة كثيرة التكاليف ثقيلة الوطأة ، عقيمة ، ممولة ، يشكو منها العالم كما يشكو منها المتعلم — وليس ادل على ذلك من هذه الاختلافات الكثيرة والصور المعقدة في رسم بعض قواعد الكتابة ومن تخطئة الناس بعضهم لبعض منذ وضع علماء المصريين البصرة والكوفة هذه القواعد ، وبنوها على اصولهم النحوية واقيستهم الصرفية المختلفة المتعارضة [٩]

ويتأمل الأثري حال العربية وهي تحاول اللحاق بالركب الحضاري المتسارع الخطى الحثيث السير حريصة على استقلالها بنفسها وقدرتها على التعبير عن الخلجات والافكار ، وعن شؤون الحياة ومطالب العلوم والفنون والصناعات مستغنية بثروتها عن الاستعارة من اللغات ، إلا ماتقضي به الضرورة في بعض الحالات . ويقرره في صراحة تامة ان المدى امام اللغة العربية في هذه الاشياء مايزال بعيداً وانه كلما قرب بعد ، ذلك لان الحضارة تزداد في كل يوم تقدماً وانبساطاً واتساعاً وتعقداً بكثرة مايتطور او يتجدد من شؤونها ، ولاسيما شؤون الفنون والصناعات والمخترعات ، وتلك كله يتقاضى علماء اللغة ان يدأبوا ويواصلوا الدأب وان يضطلعوا دائماً ، في غير تلبث ولاوناء بمجهود عنيف مستمر يتكافأ مع حركة الانتاج المتدفق وخواطره السريعة التي لاتستأني ولاتعرف البطء لأن الحياة العصرية مدفوعة بالحركة والسرعة والنشاط الذي لايفتر ، ومن ولى عن الاندفاع معها خلفته وراءها فيظل في الساقة او وراء الساقة منبتاً [١٠] .

منهج البحث في اللغة عند الاثري

الرحلة الطويلة التي امضاها الأثري في تعامله مع العربية دارساً ومنشئاً وباحثاً مجمعياً ولدت لديه جملة من الرؤى اليقينية في اصول الدرس اللغوي ومناهج البحث في اللغة وظواهرها النحوية والصرفية والدلالية .

ولعل المشكلات اللغوية التي اسفرت عنها مواجهة العربية المعاصرة لحركة النمو الحضاري المتنامي بوتائر سريعة والإحساس بالمسؤولية العالية تجاه مستقبل اللغة وتطورها ونموها اسهم في خلق هذه الرؤى عند الرجل . الأمر الذي جعله يقرر انه ماوسع العرب من التصرف بعقلها في لغتها وتنويع أوزان كلامها واشتقاقه ينبغي ان يسعنا ايضاً فلا يحرم علينا ماأحلّوه لانفسهم ، ولايحجر علينا الواسع مما توسعوا فيه مالم نرد الخروج على مقاييسهم ، ونحن الى ذلك في ذعرنا أحوج منهم اليه [١١]

ويقرر ايضاً ان اجتهادات النحاة انفسهم قد تخالفت وناقض بعضهم بعضاً فكيف لايرد الخاطيء منها ؟ واين تبقى قاعدة الأصوليين في رد القولين المتعارضين « اذا تعارضا تساقطا » أفلا ينبغي ان يسقط ماتساقط من نفسه ؟ [١٢]

ومن هذه الزاوية في النظر النقدي يذهب الأثري الى ان هناك طريقتين مختلفتين في التنظير اللغوي وصياغة القواعد وتقريرها اولاهما ماسماه الطريقة العربية التي تقوم على الاستقراء اللغوي ومراعاة الاستعمالات العربية الأصيلة فتقعد ولاتعقد .

والأخرى ماسماه الطريقة الأعجمية لأنها تسير على منهج من التعليل المنطقي فلما تلتفت معه الى الاستقراء اللغوي ، وتفرض شروطا تحرم انواعاً من مباح الاستعمالات العربية فتقعد وتعقد [١٣]

«والواضح ان الأثري يريد بالطريقة الأعجمية طريقة النحاة المشارقة من المتأخرين الذين تداخلت عندهم المناهج وغلب عليهم سلطان العبارة المنطقية والفقهية فحملوها على المادة النحوية وقننوها بمواضعاتها فجاءت جافة جرداء خالية

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

من ليونة التحليل وطرافة الاسلوب الذي عهدناه عند متقدمي النحويين.

وهذا اللحظ الذي قاده اليه النظر الدقيق في واقع الدرس النحوي جعله يقرر في موضع آخر من ابحاثه في التصريف والاشتقاق ان واقع النحو العربي على جلالة ماانتهى الينا من كتبه لايمتنع على التعقب والملاحظة والتجديد. فمانزال قوانين من قوانينه مفتقرة الى استقراء جديد ونظارجديدة مستقلة، لتحريرها ووضعها في النصاب الصحيح ومرد ذلك لا الى عيب في فقه صانعيه ولكن الى امر هو فوق قدرة الانسان لذلك هو تعذر الإحاطة التامة الشاملة بجميع لغات القبائل ولهجاتها على عظم ماتلقفته منها من الافواه فدونوه وبنوا عليه هذا النحو.[٢٩]

والواضح ان هذا الموقف النقدي الذي املاه عليه حرصه على مستقبل الدرس اللغوي وسلامته يستند الى نظرة موضوعية عمادها الفحص المتأني والنظر الشامل في مصنفات النحويين ومطولاتهم التي اتسعت لدراسة اللغة فروعاً واصولاً.

نظرية الاثري في اصل اللغة

للاثري نظرية طريفة في اصل اللغة ونشأتها ولعلنا لانكون مغالين او مبالغين اذا لمحنا فيها مضموناً يقربها، على نحو واضح، من مضمون احدث النظريات الغربية في هذا المجال.

وعلى الرغم من ان هذه النظرية تبدو للوهلة الأولى مستمدة من مذهب اهل التوقيف من العلماء العرب لكنها عند التدقيق والتأمل، تبدو ليست كذلك فيما يظهر بل هناك اختلاف واضح فيما ذهب اليه الاثري في هذه المسألة ومانهب اليه اهل التوقيف ولي مقدمتهم ابن فارس اللغوي في كتابه الصاحبي في فقه اللغة.[٣٠]

يبسط الاثري نظريته قائلاً هذه اللغات البشرية جمعاء، لاريب عندي في انها، في اصلها إلهام وتوقيف وليست مواضعة واصطلاحاً وقعت لاجناس البشر بالحكمة وغرست في جبلتهم غرساً، ونمت معهم في عهود التاريخ المتعاقبة، ثم استحدثوا إبان استبحارهم في التمدن والعمران المواضعة والاصطلاح وفرجوا الى التصنيع والتفريع. ومضت كل امة على تراخي الزمن وانبساطه في الاتساع بلغتها على وفق طبيعتها ومما تدعو حاجتها اليه من شيء فاشتقت لفظاً من لفظ وفرعت الفرع من الاصول، من غير ان تخرج عليها او تبتعد عن جذورها جارية في ذلك على الهام الفطرة، ووحي الشعور العنصري الممتكن في غرائز الشعوب والامم.[٣١]

فالاثري يقرر هنا ان اللغات البشرية جمعاء لا اللغة الأولى التي يفترض اهل التوقيف انها لغة أمم ابي البشر في اصلها الهام وتوقيف، والالهام شيء مغروس في جبلة الناس وافهامهم وهو ليس تلقيناً ولاتعليماً ولامشافهة على نحو مايعتقده اصحاب مذهب التوقيف ويقررونه في نشأة اللغة، ولذلك استوجاءا من قوله تعالى: وعلّم آدم الأسماء كلها «البقرة»[٣٢].

كما يقرر الاثري انها وقعت لاجناس البشر بالحكمة وغرست في جبلتهم غرساً ونمت معهم في عهود التاريخ المتعاقبة.

فاجناس البشر أمم عدة وليست جماعة واحدة، وهو بخالف مايراه اهل التوقيف من انهم جماعة واحدة تلقوها عن ابيهم الذي لُقنها تم لقنها ابناءه من بعده وكانوا يتكلمون السريانية او العبرانية او العربية على خلاف في ذلك ويسكتون بعد ذلك عن اختلاف اللغات وتعددها واختلاف قوانينها وسننها وطبائعها.

فالاثري يلتقي في هذا مع لنظرية اللغوية المعاصرة التي تقول ان الملكة اللغوية يمكن اعتبارها خاصية راسخة في الجنس الإنساني ومكوناً من مكونات العقل الانساني وخاصية تحول الخبرة الى قواعد.[٣٣]

وتقر هذه النظرية على نحو ما وجدناه عند الاثري ان الملكة اللغوية خاصية انسانية يمتاز بها الجنس البشري وهي وراثية، ومن هنا فهي متجانسة برغم تنوع الجنس البشري.[٣٤] كما ان اللغات البشرية كلها تقوم باداء الوظائف نفسها في عملية التكلم فهي تسرد الاحداث وتطرح الأسئلة وتأمر وتتعجب وتنفي وتقر وتجزم، كما ان كل اللغات تستعمل الأجهزة الفيزيولوجية والسيكولوجيةالواحدة الموجودة لدى الانسان.[٣٥] ومن هذه الزاوية تتشابه اللغات البشر فلئن كان لكل لغة خصائصها التي تميزها عن اللغات الأخرى إلا ان اللغات كلها تختص بميزات مشتركة وهذه الميزات المشتركة بين كل اللغات او التي هي لازمة لكل لغة تدرس بضمن علم قد سماه البعض كلا) بالقواعد الكلية او الفلسفية).[٣٦]

« ولئن كان هذا التماثل الشكلي والوظيفي الذي نلمحه في اللغات يشير من بعض نواحيه الى وجود قواعد وضوابط كلية تجمع بين اللغات رغم تنوعها وتعددها على هذا الشكل الذي نعهده في لغات العالم المختلفة إلا اننا نعزي بصفة اساسية وجود هذه الضوابط او الكليات اللغوية الى الملكة اللغوية الوراثية التي هي بالذات خاصية انسانية يمتاز بها الجنس البشري »[٣٧]

فهذه الملكة اللغوية الوراثية التي هي خاصية انسانية متجانسة كما يقرر علم اللغة الحديث في الغرب هي القدرة التي غرست في جبلة الجنس البشري بالالهام والفطرة التي اودعها

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الخالق في نفوس البشر كما يقرر الاثري ومن ثم صارت عنهم القدرة والملكة التي هيأت لهم الوضع والاصطلاح والتوسع في لغاتهم والفرع بحسب حاجاتهم وبحسب قواهم الادراكية .

آراء الاثري النحوية والصرفية

توجه الاثري بعد ان أتم تعليمه النظامي في المدارس التركية الرسمية ببغداد الى دراسة العربية هواية وتعلقاً وليس احترافاً وكسباً . وقد أداه تعلقه بهذه اللغة وعشقه لها الى المرور بجملة من حلقات التعليم في المساجد حتى انتهى به المطاف الى حلقة شيخه العلامة محمود شكري الالوسي الذي لازمه حتى وفاته عام ١٩٢٤م .

وكان من ثمار صلته بهذا الشيخ الجليل على مدى اعوام اربعة من ايام فتوته وشبابه أن وقف على كنوز التراث اللغوي والادبي وأمات المعجمات ودواوين اللغة ورسائل الادباء والبلغاء ودواوين الاشعار يقرؤها بتمعن وتفحص وتدقيق واستبحار فكان من شأن هذا أن قوى في نفسه ملكة قول الشعر التي ولدت عنده قبل هذا العهد بوقت ، وملكة الانشاء التي استوت عنده على عهد شيخه العلامة واهلته بعد ذلك بوقت غير طويل ليكون كاتباً اديباًومؤلفاً يلفت اليه انظار المشتغلين بالثقافة واهل التخصص من رجال المجامع اللغوية حينذاك .

وكان من شأن هذا النزوع الادبي الذي جمع بين ملكتي الشعر والنثر في نفس الرجل ان خلق عنده رؤية خاصة تجاه الدرس النحوي وعماد هذه الرؤيا ان الدرس النحوي ليس غاية في نفسه بل هو اداة لضبط قواعد اللغة وقوانينها ووسيلة لعصمة اللسان من خرق قواعد هذه اللغة والوقوع في اللحن الذي استهجنه السلف وشددوا في النكير على من ترنوا فيه .

وتأسيساً على هذه الرؤية التي استقرت في وعي الاثري فرق بين اتجاهين في دراسة اللغة ووضع قواعدها ورسم اصولها .

الاتجاه الاول ماأسماه الطريقة العربية التي تقوم على الاستقراء ومراعاة الاستعمالات العربية الاصيلة فتقعد ولاتعقد والاخرى ماأسماها الطريقة الاعجمية وهي تسير على منهج من التعليل المنطقي قلما تلتفت معه الى الاستقراء اللغوي وتفرض شروطاً تحرم انواعاً من مباح الاستعمالات العربية فتقعد وتعقد .

ويرى ان الطريقة الاعجمية التي هي طريقة المتاخرين من النحاة المشارقة وفيهم الزمخشري وأضرابه تعتمد في منهج بحثها التحليل المنطقي وفرض الشروط التي تحرم المباح من الاستعمالات العربية .[٢٢]

وهو يرى في حدود مايعلمه ان اللغة العربية اوسع اللغات التي تتكلم بها اجناس البشر على الاطلاق غزرت مادتها غزارة تفوق الوصف وتنوعت اوزانها في الاسماء والافعال وتعددت فيها صور الاشتقاق وصيغه فلا جرم ان يكون نحوها اوسع نحو عرفته اللغات .[٢٣]

على ان هذا النحو كما يراه الاثري يحتوي وقف في جملة ماوقف من الاشياء عندما انتهى اليه إن لم نقل تراجع عن عهده واقتصر الجهد فيه على ترديد عبارات الاوائل وشرحها وعلى معاجمات لفظية لاطائل تحتها في القالب ولاجديد وقدتوهم ناس هالهم ماتكدس من كتبه ان هذا النحو قد نضج واحترق فلا سبيل لأحد الى ان يجتهد فيه او يحرر شيئاً منه . او يأتي فيه بنظر جديد .[٢٤]

والواضح ان مواجهة الاثري في دراسته وتعلمه النحو للمتون النحوية التي وضعها المتاخرون كعوامل الجرجاني وشرح الإظهار للبركوي وبعض شروح الالفية وكذلك منحاه الادبي والشعري في دراسة العربية ونصوصها ودواوين الادب وتذوقه العالي للبيان الناصع عند كبار الكتّاب والمنشئين فضلاً عن تمرسه بقراءة النص القرآني واحاديث الرسول صلوات الله عليه ، ومواقف عليه فيهما من اسرار البلاغة ودقائق البيان كل ذلك كان وراء هذا الوقف وهذه الرؤية النقدية المتأففة في تركة النحاة المتاخرين وما انتهت اليه حال الدرس النحوي فيما قيدوه من مصنفات آلت به مايشبه الالغاز والاحاجي من العبارات الجافة التي هي الى نصوص الفقهاء اقرب منها الى عبارات النحويين وقد بقي الاثري حتى اخريات ايامه محكوماً بهذه النظرية المتبرمة وهذا الموقف الناقد لجمل التركة النحوية التي خلفها متاخرو النحويين . ومن هنا قلّت او عدمت لديه ظاهرة الاشتغال بالبحث النحوي او كادت تُعدم على كثرة اطلاعه على كتب النحويين وتنقيه في مطولات النحو ومصادره الاولى بدءاً بكتاب سيبويه وآثار الفراء وانتهاء بشروح الالفية والكافية ونحوهما .

آراؤه في الاشتقاق

يرى الاثري ان الاشتقاق قياس مطرد في النظام اللغوي لايُتصور تخلف فرد من افراده ولابد له ان يتسق ويجري في مجراه الى غايته لاينقطع عن نظائره ولايتحول عن النظام . يشهد لهذا كما -يقول- قانونه النفسي عند العرب ، كما تشهد له ضوابطه الوضعية المستنبطة من هذا القانون ، وهو شيء كان متوارثاً عندهمسليقة وذوقاً ، ولا يخطُون به ، ويتناكرون مايخُل به ، كما يتناكرون زيغ الإعراب[٢٥] .

وحديث الاثري عن القانون النفسي للاشتقاق عند العرب وعن طبيعته المتوازنة في سلائقهم و نفوسهم يعيد الينا فكرة الملكة اللغوية المتوارثة عند الجنس الانساني المتجانسة برغم

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

تنوع الجنس البشري كما يقررها علم اللغة الحديث عند الغربيين .

ومن جانب آخر فان تقرير هذه المقولة عند الاثري انما اراد به التمهيد الى مبحث المستفيض الذي عقده ليبقي مزاعم الشذوذ التي وصفت بها بعض المشتقات او طائفة واسعة منها على نحو ما سيأتي بيانه من جانب اللغويين القدماء بسبب من عدم التدقيق او بسبب من نقص الاستقراء وهو ما انكره الرجل ورده بعد تحقيق وتتبع دقيقين في كتب اللغة ومعجماتها ودواوين الشعراء القدماء وآثار الغارمين .

توظيف الاشتقاق

يقترح الاثري لمعالجة المشكلات اللغوية الناجمة عن مواجهة المتطلبات الحضارية من اجهزة وآلات وادوات ومرتفقات خدمية ومعاشية وسيلتين :

الوسيلة الاولى هي ان يستحيا القديم ويلائم بينه وبين الحاضر من غير قسر ولا إعنات فتستعمل الالفاظ العربية التي نسيت في معانيها الاصلية وفيما يشبه معانيها الاصلية او ان يكون لها بها صلة غير المشابهة . ولاريب في ان التوسع في اوضاع اللغة القومية حتى تقره وتقضي بنفسها كما يقول الاثري ابقى على حياتها واضمن لدوام شبابها وتجدده من السماح للدخيل باقتحامها واحتلال مكانها .

الوسيلة الثانية هي وسيلة الاشتقاق الذي هو في اللغة العربية اشبه بالمولّدة الصناعات الالية مايفتأ يولد لها الطاقة بعد الطاقة ، ويمدها بالقوة والقدرة على الحركة والعمل ماتحرك .[٢٩]

ومع ان هذا الحل الذي ينبه اليه الرجل لايبدو مبتكراً في منحاه النظري لكنه يمهد به لمبحث تطبيقي في اسماء الآلة يقدم به علاجاً لهذه المشكلة الحيوية فيقترح فيه بناء على مااستقراه من معجمات اللغة وفي مقدمتها لسان العرب ان يتوسع في اطلاق الاشتقاق في هذا الباب انسياقاً مع اغراض اللغة في تنويع دلالات المشتقات بحسب تنوع ماتشتق منه من الافعال وفيها ومع اغراض الصناعات الالية المختلفة في العصر الحاضر .[٣٠]

وعلى هذا يقرر الاثري اضافة اوزان أخر من المشتقات الى الثلاثة الاوزان التي اجمعت عليها كتب النحو والتصريف وهي(مِفعلة ومِفعل ومِفعال) ويلتهي به استقصاء هذه الاوزان الاشتقاقية في مصادر اللغة هي ومامصيغ عليها من صحاح اسماء الآلات والادوات والمرافق الى ٢٤ وزناً اشتقاقياً صيغت عليها مئات من الالفاظ الفصيحة كلها من قديم اوزان العربية ومن صحاح كلمها اجرى اشتقاقها على وفق اساليبها في اسناد فعل الشيء الى ما يلابس فاعله وآلته او اداته او مرفقه .[٣١]

وانسجاماً مع هذا المنحى في الدعوة الى استغلال الطاقة الاشتقاقية في اللغة الى اقصى مايمكن ان تحتمله وتتسع له يدعو الى ان يفتح الباب على مصراعيه للنحت تسهيلاً للانتفاع به في تكثير مواد اللغة التي تغذينا عن الدخيل .[٣٢] وهو بهذا يهتدي بهدي شيخه محمود شكري الالوسي الذي ألف كتاباً في النحت حققه ونشره الاثري في مطبوعات المجمع العلمي العراقي عام ١٩٨٨م .

وهو يقرر تبعاً لشيخه ان النحت بأنواعه من قسم الاشتقاق الاكبر واذا كان الامر هكذا فهو كما يقرر ، قياسي مطرد بل على ذلك كلام الائمة او لم يدل لأن الاشتقاق قياسي في اللغة العربية .[٣٣]

ومبعث ذلك والدافع اليه ان الرواية مهما اتسعت غير مغنية في هذا العصر الذي اختلفت متطلباته عن متطلبات العصور الوسطى او عصور الاستعجام وهي لاتهدي كما يقول الاثري ، الى عبقرية اللغة ولاتحقق فوراً لغة ولاتتيلها مكسباً من مكاسب النماء والازدهار .[٣٤] بل الذي يغني اللغة ويهدي الى عبقريتها هو التوليد بالاشتقاق بجميع اقسامه وبتطوير الدلالة بالمجاز وبفيه لتتسع اللغة لجميع المستجدات التي يفرضها قانون الاستمرار وسنن النمو الحضاري والفكري .

تحقيقات لغوية في تصحيح مازعم شاذاً من المشتقات

اورد اللغويون القدماء طائفة من المشتقات في بابي اسم الفاعل واسم المفعول زعموا انها جاءت على غير القياس ، وشذت عن نظائرها وقد حقق الاثري مع طول تأمل وتدبر وأناة بالرجوع الى كتب اللغة ونصوص الشعر والنثر والقراءات القرآنية هذه الالفاظ والأبنية وصح لديه يقيناً انها جاءت على القياس وليس فيها مما زعموا من الشذوذ شيء .

وقد راعى الاثري في تحقيقاته في هذا المبحث اصلين اعتمدهما واقام عليهما واقام عليهما عمود النقاش والبحث والتوجيه .

الأصل الاول هذا القانون اللغوي العام الذي استقر في فطرة العرب وصدروا عنه في كلامهم تصريفه وإعرابه سجية وطبعاً واجروه في ذلك قياساً مطرداً لايتوقف بقوة الطبع ورهافة الحس وثابت ملاقتهم الانحراف عنه .

والاصل الثاني التهدي الى الاصول التي لم تدون في دواوين اللغة وهي كثيرة بالفروع التي وردت في كلام الفصحاء من طريق الروايات الصحيحة والبناء عليها فيما اورد وناقش من ---اعم الشذوذ إذ الفرع يدل على اصله والوصف يهدي الى فعله فاذا صحت الصفة فالفعل حاصل في الكف كما يقرر ابو علي

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الفارسي فيما يحكيه عنه تلميذه ابن جني.[٣١]

ونسوق فيما يأتي طائفة من هذه الألفاظ توضيحاً للمنحى الذي نحاه الأثري في مجادلة اللغويين وتصحيح ما ادعوه فيها من الشذوذ:

١ - عمّ فهو معم ولمّ فهو ملم، والقياس فيهما عامّ ولامّ، صوب الأثري بعد مراجعة لكتب اللغة ماجاء في اللغطين من وهم في القراءة عند من نقل وقال انهما محرّفان عن بعم وبلم، والبعم الذي يقم الناس ببره وفضله والبلم الذي يصلح امرهم ويجمعهم وقد جاء في اللغة ونصوص الحديث عامّ ولامّ اسمي فاعل من عمّ ولمّ فلا شذوذ في اللغطين.[٣٢]

٢ - سرّه فهو مسرّ، والقياس مسرور، وانما قال العرب ذلك توهماً منهم انه من اسَر الذي لم ينطق به كما يقول اللغويون. والأثري يرى ان مُسَر هو من أسر حقيقةً لاوهماً ولكن معجمات اللغة الواصلة الينا اهملته واثبتت فرعه الذي هو الصفة ولذلك نظائر كثيرة فيها ولنا ان نستدل بالفرع على الأصل كما تقدم القول به.

٣ - مُسقط فهو مسقوط وهذا فعل لازم غير متعد لايأتي منه اسم مفعول لكن الأثري صحح هذه الصيغة على انها من فعل سُقِط المتعدي بحرف الجر الذي يؤذن بوجود الفعل المبني للمعلوم المتعدى وإن لم يدون في معجمات اللغة على نحو ماوقع للفعل أسِرَ.

٤ - محرور من حرّ يحرّ اذا سخن وهو لازم لايصاغ منه اسم مفعول لكن الأثري صحح مجيئه من الفعل المتعدي حرّ الماء يحرّه حرّاً اسخنه فهو قياسي على ماجاء في التاج لاشاذ وعلى هذا النحو صحح الأثري مأثور ومضعوف - من الثلاثي وحقق الغلطاً من الرباعي جاء اسم الفاعل منها على مازعموا بزنة فاعل على غير القياس الذي يقتضي ان يكون اسم الفاعل منها بزنة مُفعل او نحوه من الموازين الخاصة بالرباعي وهذه الألفاظ هي:

١ - باقل من ابقل المكان، اذا ظهر فيه البقل، وقد حقق الأثري ورود بقل المكان فهو باقل كما اورد نصوصاً جاءت فيها صيغة مبقل منها شعر لأبي دؤاد الإيادي معروف.

٢ - أتمر فهو تامر ومعناه البن فهو لابن وانمل فهو ناعل وخرج بعض اهل اللغة هذا على انه من باب النسب ولافعل له وصوب الأثري ما ارتآه صاحب اللسان انه من قولهم تمرت الرجل فانا تامر اي اطعمته التمر.

٣ - احنط الرمث فهو حانط على غير قياس لكن الدينوري نقل في كتاب النبات احنط الشجر والعشب وحنط يحنط حنوطاً ادرك ثمره فالقياس صحيح.[٣٣]

وعلى هذا النحو يستطرد الأثري ليصحح القياس في اعشبت الأرض فهي معشب وقالوا بمعنى عاشب اي يرعى العشب فلا بد له من فعل، كما قالوا روض عاشب على النسب ولافعل له.

وكذلك اغمض الليل فهو غامض وفمض وغمضا موجود في اللغة على قلة واعقت الفرس فهي عقوق وجاء عُمق على القياس ايضاً وأورق النبت فهو وارق والفعل ورق الشجر موجود وايفع الغلام فهو يافع وحقق رواية يفع الغلام الى جانب ايفع ومثلها ايتع الثمر فهو يانع وميتع وحقق الفعل يتع مثل ضرب ومنع.

ولايتسع المجال لسرد كل ماحقق الأثري من افعال في هذا الباب وقياسية ما اشتق منها فما ذكرناه يغني عن نظائره ويمكن الرجوع الى المبحث كاملاً في مظانه.[٣٤]

تصحيح مازعم انه مبني على التوهم

انشأ الأثري بحثاً قدمه الى مجمع اللغة العربية بالقاهرة قصد فيه الى تحقيق مايراه قوم من القدماء ونفر من المحدثين ومن الباحثين اللغويين ان العرب اشتقت الفاظاً على مثال فعيل او مفعول من افعال مزيدة لم يسمع منها الفعل المجرد وذلك توهماً منها ان هناك افعالاً ثلاثية مجردة لهذه الأبنية التي صاغوها اي ان هذا البناء بني على توهم حذف الحرف الزائد من فعله او انه جاء خلاف القياس. ومن امثلة ذلك ذهيب بمعنى مُذهب في قول حُميد بن ثور الهلالي يصف خيلاً:[٣٥]

مُوشحة الأقراب، أمارساتها فقلش، وأما جلدها فذهيب

كانه توهم الفعل ذهيه، المتعدي بنفسه، وابناه عليه.

ومبرّز في قول لبيد بن ربيعة العامري:[٣٦]

او مُذهب جَدَدٌ، على الواحه الشاطق المبرز والمخشوم

لانهم سمعوا ابرزه فهو مبرز ولم يسمعوا برزه فهو مبرز. يقول الأثري والحق ان هذه المشتقات التي جاءت على فعيل او مفعول وظن ابو منصور وابن سيدة وابو حاتم وآخرون غيرهم انها بنيت على توهم حذف الحرف الزائد إنما هي مشتقات من افعال ثلاثية سمعها غيرهم ولم يسمعوها هم، وثبتت عن قبيل من العرب تعتز العربية بفصاحتهم وتتناقل الناس اشعار شعرائهم ويحتج اهل اللغة بكلامهم. وبهذا تسقط دعوى بناء امثال هذه المشتقات على التوهم توهم حذف الحرف الزائد إذ لاتوهم في ذلك لانها مبنية على اصول ثلاثية هي فروع منها ولايمكن ان تكون فروع من غير اصول.[٣٧]

وهذا يعيد الأثري الى الألحان ما انتحاه في مبحثه السابق من عود الى كلام العرب بإكمال الإستقراء غير التام الذي بنى عليه النحويون واللغويون احكامهم غير المتأنية والتي ينقصها التدقيق في نصوص اللغة التي لم يتسع لها محفوظهم ومروياتهم على نحو واعب.

وفي هذا المبحث يعرض الأثري طائفة من الألفاظ التي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

جمعتها العرب جمع مذكر سالم ، ولم تتوفر فيها شروط جمع المذكر السالم فهي ليست اعلاماً لمذكرين وليست صفات لمذكر عاقل .

وثالثها بعض النحويين على انها مما توهم فيها شيء محذوف وهو تاء التأنيث وهذه الالفاظ هي أرض وأرضون وأبيكر وأبيكرون وذرح وذرحون وقور وقورون من اسماء الدواهي .

وينكر الاثري هذا الزعم المتناقض ويقول والعرب شيء الى العقل واقومه في المنطق ان يقال في هذا ان العرب انما جمعت الأرض جمع مذكر سالما إنزالا لها منزلة العاقل وعلى ذلك جاءت الاية الكريمة والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين يوسف ٤[٢٠]

ثم يستظهر رأياً مفاده ان هذا الجمع بالواو والنون كان هو الاصل في العربية القديمة المعرقة في القدم ثم جرى التطور فيها في صيغته فتعددت صوره على النحو المعروف وبقيت هذه الالفاظ شواهد على ذلك الاصل القديم الذي لم يعرج بين تذكير وتانيث ولابين عاقل وغير عاقل .[٢١]

وهو رأي فيه كثير من الوجاهة ويسمح بتصوره قانون التطور اللغوي الذي يرى ان الفروع انطلقت من اصول عامة .

وفي هذا المبحث فقرة بعنوان توهم زيادة الحرف الاصلي افردها الاثري لمناقشة الشيخ عبد القادر المغربي رحمه الله في جملة الافكار التي ارتآها لتفسير بعض الظواهر النحوية والصرفية في كلام العرب .

والذي يعنينا هنا الاشارة الى ماتكلفه الاثري في رده على المغربي من تمحلات اوقعه فيها على مايظهر حماسه واندفاعه في الدفاع عن آرائه وحرصه على دفع مظنة التوهم عن الناطقين بهذه الالفاظ . مع ان الإعراب على التوهم باب في العربية أقره جمهور النحويين منذ الخليل وقبل الخليل ، وتأولوه بالحمل على المعنى وعلى الموقع . من ذلك على سبيل المثال ماقرره الشيخ المغربي من ان العرب منعت صرف« طحان » علماً لرجل توهماً انه مثل سكران في زيادة النون فهو من باب التوهم .

لكن الاثري يعترض هذا التفسير ويذهب فيه الى انه من التشبيه لامن التوهم وانهم يفعلون ذلك طرداً للباب وتوحيداً للنظائر وفي هذا توسعة لقاعدة الموانع من الصرف وتخفيف لبعض القيود .[٢٢] ولايخفى ان هذا الاعتذار والتخريج بانه تشبيه لاتوهم لايدفع ان نون الاسم اصلية لازائدة والاول ان يصرف كما صرف حسان ورمان ونحوهما .

ومثل ذلك دفاعه عن منع صرف فَيْنان ونونه اصلية ونصب لغات بالفتحة ظناً انها جمع تكسير فقد جرى فيه على ممنوع ماجرى في تاويل منع صرف طحان فصرف التوهم فيه الى التشبيه ومثل ذلك ماوقع في منع اشياء من الصرف ظناً منهم انها فعلاء وليست فعلا .

وكذلك رده القول بتوهم العرب زيادة الالف في منارة واصلها وأو فجمعوها مناور والوجه مناير بالياء مثل مقارة ومقاور ومقارة ومقاوز وليست الالف زائدة مثل الف رسالة وحمالة فتجمع على فعائل .

فقد ذهب الاثري الى ان الامر ليس من باب التوهم ولامن باب التطور بل هو لغة من لغات العرب واستشهد لهذه اللغة بقراءة نافع(معائش - الاعراف - ١)بالهمزة لا بالياء قائلاً فلا توهم في ذلك ولاتطور متجاهلاً ان قراءة نافع موضع اعتراض النحويين عامة ، وهي قراءة مخربة مخالفة للقياس المطرد .[٢٣]

توكيد الالوان

لعل من اطرف الاراء النحوية التي عرضت للاثري وبسطها في مبحث لغوي عقده للحديث عن الالوان في العربية وتعددها وغزارة تسمياتها وهو وجه من وجوه انفساح العربية واتساع رقعة التعبير بها رأيه في توكيد الالوان التي احصى منها الاثري في العربية بضع مئتين ووضع لها معجماً مايزال مخطوطاً .

وكان شيخه محمود شكري الالوسي وضع شرحاً على ارجوزة علي بن أبي العز الحنفي الدمشقي(٧٩٢٥هـ)في الالوان ، وهي منتقاة من المحكم لابن سيدة واساس البلاغة والكشاف للزمخشري .

يقول الاثري ان العرب قد الحقوا بكل لون من هذه الالوان الخمسة الابيض والاسود والاحمر والاخضر والاصفر ، وهي المبسوطة والبواقي تحصل بالتركيب كما يقرر الباحثون في علوم الأوائل الفاظاً كثيرة مختلفة ـ فقالوا ابيض يقق ، وابيض لهق ونهاق ، وابيض وابص ووياص ، وابيض براق ـ وقالوا اسود حالك وحانك ومحلنك ومحلوك وغربيب وغيهب وفاحم ومدلهم ويحموم واحمر قاني ومضب وعانك ووردٍ وقانئ وقاتم وإضريح وجريال ـ وقالوا اصفر فاقع وفقاعي ووارس ـ وقالوا اخضر ناضر وباقل وحانيء وزاهر ومدهام . واهل اللغة في إعراب ذلك فريقان فريق ذهب الى ان هذه الالفاظ التوابع مؤكدات وهم قلة ، وفريق يقول إنهم اوصاف يراد بها تسمية درجات الالوان ، واختار الاثري الرأي الثاني ، ووصفه بأنه الحق وافرد صفحات عدة من البحث للاستدلال على صوابه والاحتجاج لصحته .

يقول الاثري القول بالتأكيد ها هنا يستلزم القول بالترادف . ولاوجود في اللغة لترادف عند كبير من الالفاظ بمعنى واحد بعينه تتعاقب وتُساق ويراد بها تأكيد لفظ مفرد بعينه لانه فضول فما يظن من اللفظ مرادفاً انما يعبر عن معنى دقيق ليس في غيره .[٢٤]

ثم يتبسط في النقل عن الزمخشري وابن سيدة والثعالبي ومافرروه من ان هذه التوابع صفات لبيان درجة اللون وخصائصه وليست مؤكدات لانها ليست مرادفة لما قبلها أو

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هوامش البحث ومراجعه

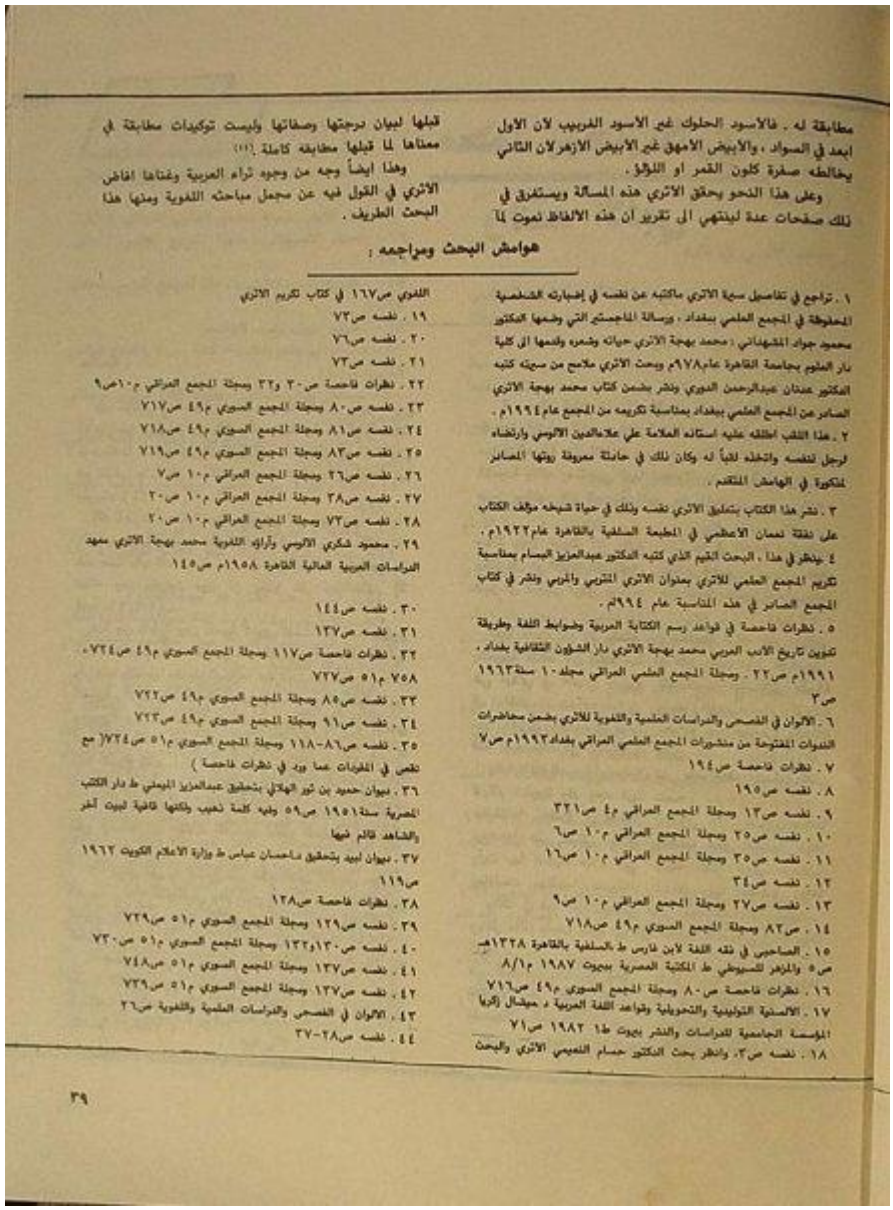

مطابقة له . فالأسود الحلوك غير الأسود الغربيب لان الاول ابعد في السواد ، والأبيض الأمهق غير الأبيض الأزهر لان الثاني يخالطه صفرة كلون القمر او اللؤلؤ .

وعلى هذا النحو يحقق الآثري هذه المسألة ويستغرق في ذلك صفحات عدة لينتهي الى تقرير ان هذه الالفاظ تموت لما قبلها لبيان درجتها وصفاتها وليست توكيدات مطابقة في معناها لما قبلها مطابقه كاملة .[١١]

وهذا ايضاً وجه من وجوه ثراء العربية وغناها افاض الآثري في القول فيه عن مجمل مباحثه اللغوية ومنها هذا البحث الطريف .

هوامش البحث ومراجعه :

١ . تراجع في تفاصيل سيرة الآثري ماكتبه عن نفسه في إضبارته الشخصية المحفوظة في المجمع العلمي ببغداد ، ورسالة الماجستير التي وضعها الدكتور محمود جواد الشهداني : محمد بهجة الآثري حياته وشعره وقدمها الى كلية دار العلوم بجامعة القاهرة عام١٩٧٨م وبحث الآثري ملامح من سيرته كتبه الدكتور عدنان عبدالرحمن الدوري ونشر بضمن كتاب محمد بهجة الآثري الصادر عن المجمع العلمي ببغداد بمناسبة تكريمه من المجمع عام١٩٩٤م .

٢ . هذا اللقب اطلقه عليه استاذه العلامة علي علاءالدين الآلوسي وارتضاه لرجل لنفسه واتخذه لقباً له وكان ذلك في حادثة معروفة رويتها المصادر المذكورة في الهوامش المتقدم .

٣ . نشر هذا الكتاب بتعليق الآثري نفسه وذلك في حياة شيخه مؤلف الكتاب على نفقة نعمان الاعظمي في المطبعة السلفية بالقاهرة عام١٩٢٢م .

٤ . ينظر في هذا ، البحث القيم الذي كتبه الدكتور عبدالعزيز المسام بمناسبة تكريم المجمع العلمي للآثري بعنوان الآثري المترجي والمربي ونشر في كتاب المجمع الصادر في هذه المناسبة عام١٩٩٤م .

٥ . نظرات فاحصة في قواعد رسم الكتابة العربية وضوابط اللغة وطريقة تدوين تاريخ الأدب العربي محمد بهجة الآثري دار الشؤون الثقافية ببغداد ، ١٩٩١م ص٢٢ . ومجلة المجمع العلمي العراقي مجلد١٠ سنة١٩٦٣ ص٣

٦ . الالوان في الفصحى والدراسات العلمية واللغوية للآثري بضمن محاضرات الندوات المفتوحة من منشورات المجمع العلمي العراقي ببغداد١٩٩٣م ص٧

٧ . نظرات فاحصة ص١٩٤

٨ . نفسه ص١٩٥

٩ . نفسه ص١٣ ومجلة المجمع العراقي م٤ ص٣٢١

١٠ . نفسه ص٣٥ ومجلة المجمع العراقي م١٠ ص٦

١١ . نفسه ص٣٥ ومجلة المجمع العراقي م١٠ ص١٦

١٢ . نفسه ص٣٤

١٣ . نفسه ص٢٧ ومجلة المجمع العراقي م١٠ ص٩

١٤ . ص٨٢ ومجلة المجمع السوري م٤٩ ص٧١٨

١٥ . الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس ط السلفية بالقاهرة ١٣٢٨هـ ص٥ والمزهر للسيوطي ط المكتبة العصرية ببيروت ١٩٨٧م ٨/١

١٦ . نظرات فاحصة ص٨٠ ومجلة المجمع السوري م٤٩ ص٧١٦

١٧ . الالسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية د جيشال زكريا المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر بيروت ط١ ١٩٨٢ ص٧١

١٨ . نفسه ص٣. وانظر بحث الدكتور حسام النعيمي الآثري والبحث اللغوي ص١٦٧ في كتاب تكريم الآثري

١٩ . نفسه ص٧٣

٢٠ . نفسه ص٧٦

٢١ . نفسه ص٧٣

٢٢ . نظرات فاحصة ص٣٠ و٣٢ ومجلة المجمع العراقي م١٠ص٩

٢٣ . نفسه ص٨٠ ومجلة المجمع السوري م٤٩ ص٧١٧

٢٤ . نفسه ص٨١ ومجلة المجمع السوري م٤٩ ص٧١٨

٢٥ . نفسه ص٨٣ ومجلة المجمع السوري م٤٩ ص٧١٩

٢٦ . نفسه ص٢٦ ومجلة المجمع العراقي م١٠ ص٧

٢٧ . نفسه ص٣٨ ومجلة المجمع العراقي م١٠ ص٢٠

٢٨ . نفسه ص٧٣ ومجلة المجمع العراقي م١٠ ص٢٠

٢٩ . محمود شكري الآلوسي وآراؤه اللغوية محمد بهجة الآثري معهد الدراسات العربية العالية القاهرة ١٩٥٨م ص١٤٥

٣٠ . نفسه ص١٤٤

٣١ . نفسه ص١٣٧

٣٢ . نظرات فاحصة ص١١٧ ومجلة المجمع السوري م٤٩ ص٧٢٤، ٧٥٨ م٥١ ص٧٢٧

٣٣ . نفسه ص٨٥ ومجلة المجمع السوري م٤٩ ص٧٢٢

٣٤ . نفسه ص٩١ ومجلة المجمع السوري م٤٩ ص٧٢٣

٣٥ . نفسه ص٨٦-١١٨ ومجلة المجمع السوري م٥١ ص٧٢٤(مع نقص في المقولات عما ورد في نظرات فاحصة)

٣٦ . ديوان حميد بن ثور الهلالي بتحقيق عبدالعزيز الميمني ط دار الكتب المصرية سنة١٩٥١ ص٥٩ وفيه كلمة ذهيب وتكملها قافية البيت آخر والشاهد قائم فيها

٣٧ . ديوان لبيد بتحقيق د.احسان عباس ط وزارة الأعلام الكويت ١٩٦٢ ص١١٩

٣٨ . نظرات فاحصة ص١٢٨

٣٩ . نفسه ص١٢٩ ومجلة المجمع السوري م٥١ ص٧٢٩

٤٠ . نفسه ص١٣٠و١٣٢ ومجلة المجمع السوري م٥١ ص٧٣٠

٤١ . نفسه ص١٣٧ ومجلة المجمع السوري م٥١ ص٧٤٨

٤٢ . نفسه ص١٣٧ ومجلة المجمع السوري م٥١ ص٧٣٩

٤٣ . الالوان في الفصحى والدراسات العلمية واللغوية ص٢٦

٤٤ . نفسه ص٢٨-٣٧

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

محمد بهجة الأثري والنقد الأدبي

بقلم

محمد بهجة الأثري
والنقد الأدبي

عبدالجبار داود البصري

مقدمة :

ولد الاثري في احضان اسرة مربوحة اللسان ، ابوه عربي الاصل من ديار بكر بن وائل وأمه تركمانية من كركوك وهذا ماجعله ذا لسانين قبل الفطام وغلب الظن كان اللسان التركي هو الغالب عليه لان أمه كانت شديدة التعلق به بليغة العناية بتربيته .(٢٧٩/٦)(*)

وقد نجم عن هذه التربية ميله الى الاحتجاز عن مخالطة الاتراب وزيادة في ضبط النفس وهو يتذكر بحسرة كيف كان يقف عند عتبة باب الدار يشرف من بعيد على الصبيان واليافعين من اقرانه وهم يلعبون دون ان يجرؤ على مخالطتهم إلا نادراً .(٢٦/٦) .

هذا من ناحية ومن ناحية اخرى كانت امه تعده ليكون مواطناً تركياً جيداً ونجحت في ذلك فكان مبرزاً في تعلم التركية وقراءتها وكتابتها وقد بلغ السابعة عشرة من عمره وهو لايحسن العربية . إلا ان وفاة امه الحقيقية اثناء الحرب العالمية الأولى وخروج العراق من التبعية العثمانية جعل كفة اللسان العربي تميل لديه وكانه وجد في اللغة العربية (الام المجازية) التي تملأ الفراغ الذي تركه موت امه وتصلح العطب النفسي في اعماقه ، وساعده على هذا التحول الجذري عدة عوامل منها :

١ - اكتشف ابوه بعد وفاة أمه انه لايحسن قراءة الصحيفة فقرر ارساله الى حلقات المساجد لتعلم العربية واجادتها . (٣٢ /٦) .

٢ - درس على يد الشيخ علي علاء الدين الآلوسي مبادىء العربية والفقه الاسلامي وهو الذي شجعه على ارتداء الزي العربي وهو الذي سماه بالاثري اي الذي يلتزم بآثار السلف الصالح ولايميل الى هذا المذهب او ذاك . (٢٨٤/٦) .

٣ - بعد وفاة علي علاء الدين الآلوسي اكمل دراسته العربية على يد الشيخ محمود شكري الآلوسي وهو الذي كلفه ذات يوم باستنساخ كتاب مثالب العرب وكلفه بنقضه وقد فعل ذلك .(٢٨٨/٦)

٤ - حرفت قوات الاحتلال الاجنبي اسواق بغداد فالهب هذا الحدث الشعور القومي عند البغداديين .(٢٨/٦) ، وهكذا صارت العربية « ام اللغات » ووضع فيها كل ماهو من خصائص الامومة وكانه يستحيي فيها امه ولايجد حاجة في ان يرثيها ضمن مراثيه لان العربية اقوى من الموت .

سلامٌ ومن حبيبكَ اني يؤوم ... عليّ لها في الحمد دين غريم
سلامٌ على ام اللغات على المدى ... سلام اخيذ بالجمال هيوم
مشوق الى الحرس الرقيق ومنصح ... من اللفظ منسوق البيان رخيم
(١٢١/١)

وكما كانت امه قد منعته من مخالطة اقرانه فقد اعتاض بالعربية كذلك عن ليلاه منذ ان كان عمره دون العشرين

هي ليلاي في الليالي ونربي ... لتهاليه ليليات طياء
قد تعلقت منذ صباي بليلاي ... وصح الهوى ودام الولاء
دون عشرين والصبا في غرام ... وهواها من صبوتي والفلاء
لغة المرء ذاته ان تهن هانْ ... واعزي وتلد ـ الكبرياءُ (١٢٦/١)

وكما كانت العربية امه وليلاه فهي خمرته فهو المسكرة والتي لايأتم شاربها وقد وجد فيها نفسه :

عشقناها وعشنا في هواها ... نشاوى لانلذ سوى طلاها
وواعجباً طلى تُسقى حلالاً ... وتجتنبُ عقل شاربها اناها
رأيت بها الحياة جلاء عين ... ونهلة غلةٍ تروي صداها
ومانظمت بمثلهما ـ سواها ... تذوق ريها وصفا رواها

وكانه في هذا البيت يعرض حتى بامه الحقيقية ولبنها ـ وينقل ماهو واجب عليه لها الى العربية الفصحى في الابيات الاتية :

هي الفصحى لنا وزر وحقٌ ... علينا برها وجنى رضاها
نعظمها وقد كرمت علينا ... كما عظنا بها عظماً وجاها
نفديها بانفسنا ونحمي ... محاربها ونربي من رباها (١٤٦/١)

ان كون العربية امتداداً لأمه هو الذي يفسر سرعة تعلمه لها

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بحيث نظم بعد سنتين من دراستها اولى قصائده ، ونشر اول بحث لغوي له عن مقرنة البلاط في جريدة دجلة سنة ١٩٢١ (٤٣٩/٦) وقضى حياته يذود عن العربية وحرمتها ويفاني في خدمتها عبر المجامع اللغوية والمؤتمرات الثقافية الى اخر حياته .

النقد الادبي في نثره

وانا اعتبرنا النقد الادبي كل كتابة عن الكتابة او كلام عن الكلام وجدنا للاثري تراثاً نقدياً لابأس به بعضه كتب مخطوطة وبعضه كتب مطبوعة والكثير منه دراسات وبحوث ومقالات نشرت في الصحف داخل العراق وخارجه ويخيل لي ان المخطوط يمثل امكاناتٍ وطاقاتٍ كامنة لم تحقق وبعضه يمثل تجميعاً لما نشر متفرقاًولذلك سنتجاوز هذا الحقل .

يمكن التحدث عن علاقة الاثري بالنقد الادبي في ثلاثة مباحث :

المبحث الاول :النقد الادبي في نثره :

للاثري خمسة كتب مطبوعة ذات صلة بالنقد الادبي هي :

١-كتاب اعلام العراق .. وهو ادبي انتقادي في سجية الأمام الالوسي .

٢-ماساة وضاح اليمن وهو مساجلة نقدية جرت بينه وبين احمد حسن الزيات .

٣-محمود شكري الالوسي وآراؤه اللغوية - محاضرات القاها على طلبة الدراسات العليا في معهد البحوث والدراسات العربية .

٤-المجمل في تاريخ الأدب العربي

٥-نظرات فاحصة في قواعد رسم الكتابة العربية . وله اربع وعشرون مائة نشرت في الصحف ومقدمات كتب ودواوين هي :

١-انا والرصافي - جريدة الاستقلال سنة ١٩٢٣

٢-الرد على الزهاوي جريدة العراق ، العاصمة ، المفيد ١٩٢٣ - ١٩٢٥

٣-الغزي شاعريته والخلط في اشعاره مجلة الزهراء ١٩٢٦

٤-حسين العشاري : آثاره شعره ونثره مجلة لغة العرب ١٩٢٦

٥-نظرة في اصلاح الفاسد في لغة الجرائد ، لغة العرب١٩٢٦

٦-تحليل مرثية الزهاوي في الزعيم المصري ، العالم العربي١٩٢٧

٧-شاعرية البناء ، مقدمة الجزء الثاني من ديوان البناء

٨-نظرة في مرثية الأزري لسعد زغلول ، العالم العربي

٩- رواية مجنون ليلى معجزة الأدب الحي ، الاماني ١٩٣٠

١٠- تمثيل أم خلاعة ١٩٣٥

١١- ديوان الشبيبي - العالم الاسلامي ١٩٣٨

١٢- شاعر الاسلام ، محمد إقبال ، ١٩٣٨

١٣- الشيخ صالح التميمي ، المعلم الجديد ١٩٥١

١٤- شمسو - مسرحية بابلية مجلة المجمع العلمي العراقي ١٩٥١

١٥- ظلال الايام ، مجلة المجمع العلمي العراقي ١٩٥٤

١٦- العماد الاصبهاني ، مجلة المجمع العلمي العراقي ١٩٥٦

١٧- مالك بن الريب المازني ، مجلة المجمع العلمي بدمشق ١٩٦٣

١٨- تصدير ديوان رشيد الهاشمي

١٩- الشاعر ابو طاهر وقانون البلاغة ، مجلة المجمع العلمي العربي ١٩٦٥

٢٠- مصطفى صادق الرافعي ، مقدمة كتاب الدكتور مصطفى لعمان البدري

٢١- الصنوبري ، دراسة في شعره ، مجلة المجمع العلمي العربي ١٩٧٠

٢٢- اضواء على شاعرية الماحي ، مجلة مجمع اللغة العربية ١٩٧١

٢٣- مقدمة كتاب نزهة الأرواح للشهرزوري

٢٤- تصدير كتاب مذكرات عبد الجبار الراوي ١٩٩٤ (٤٢٩/٦) .

ويمكن تقسيم هذا النتاج الى اربعة اقسام :

القسم الاول مساجلاته او معاركه الأدبية ولدينا منها اثنتان الاولى مع احمد حسن الزيات حول شخصية وضاح اليمن وصلته بزوجة الخليفة الأموي .

والثانية مساجلته مع الزهاوي - وقد بدأت حين نشر الزهاوي في العدد ٩٢٤ من جريدة العراق الصادرة في ٣١/مايس ١٩٢٣ نقداً لقصيدة احمد شوقي في رثاء اسماعيل صبري وقد رد عليه الاثري في جريدة العاصمة وكان الرد في خمسة عشرة حلقة حاول فيها ان يفند آراء الزهاوي وينقض طريقته بيتاً بيتاً وقد جاء في اولها : « ما إن وقع نظري على عنوان النقد (نقد لقصيدة شوقي بك) حتى استبشرت بفتح هذا الباب الجديد الباب الذي تعود منه فوائد جمة وعوائد مهمة على الأدب واهله في العراق ولكن ماكدت أني على إتمام المقال حتى شعرت في نفسي انقباضاً لما رأيت فيه من الاستهزاء والتهكم ونظر المنقود بعين السخط والخروج عن موضوع النقد وعدم التثبت في الحكم - الخ(٤٢٧/١١) وقد رد على الاثري الشاعر رشيد الهاشمي في جريدة العراق العدد ٩٣٨ في ١٦ حزيران ١٩٢٣ مناصراً الزهاوي . فرد عليه الاثري بعد ذلك في الجريدة نفسها . ثم نشر الزهاوي في العدد ٢٤ من جريدة السياسة الصادرة في ٢٩ مايس ١٩٢٥ كلمة عن الشعر المرسل قال فيه :

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إن القافية فيه تكتية في أرجل الشعر العربي يوصف فيها ولايكاد يمشي حراً كما يجب ان يمشي . وقال : ان القافية عضو التري قد زال معظمه وسوف يزول مابقي منه من جسد الشعر بتوالي الأيام والأعوام وقد اخطأ الذين حسبوا القافية من الشعر . وحمل القافية وزر جميع العيوب والنواقص التي لحقت على الشعر العربي . (٢/ ٦٥)

وقد أيد الزهاوي فيما ذهب اليه السيد شكري الفضلي ولكن الأثري رد عليه في جريدة المفيد يوم١٩٢٥/٦/١٦ أولاً : ليس كل مايمس فيها يجب اطراحه والتنصل منه ثم قال : ان اولئك المتشاعرين المستعربين الذين مثبت العربية والعروبة عليهم ثم ان يستنتلوا او يريدوا التنصل مما يريدون فالطبع منهم ناب والفكر صلد والقريحة قريحة واللسان أعجم يرتضخ لكنة . (٢/ ٧٤)

وحين رد الزهاوي على منتقدي دعوته للشعر المرسل تجاهل الأثري واكتفى بالرد على روفائيل بطي وسليم حسون وتوفيق الصمداني وشكري الفضلي معتبراً ماكتبه الأثري خارجاً عن الموضوع .

ينشر الزهاوي مرثية للزعيم المصري فنقدها الأثري في صحيفة العالم العربي الصادرة ١٩٢٧ . وكان في نية الأثري نشر هذه المقالات في كتاب بعنوان « الانتصاف »ويبدو الأثري في هذه المساجلة مع القديم ضد الجديد . وكان الأثري وقتها شاباً لم يتجاوز الحادية والعشرين من عمره في حين كان الزهاوي شيخاً قد بلغ السبعين من عمره .

والقسم الثاني : موقفه من بعض الكتاب وتشمل مقدمتين : الأولى عن مصطفى صادق الرافعي والثانية تصدير لمذكرات عبدالجبار الراوي .يواضح انهما مقدمتان تقليديتان .

والقسم الثالث في النقد المسرحي وهي ثلاث مواد رواية مجنون ليلى معجزة الأدب الحي وعرض مسرحية شمسو للشاعر خالد الشواف وكلمة تمثيل او خلاعة التي تدل على انها كتبت من خارج النص لتأكيد موقف اخلاقي لاعلاقة له بالتمثيل .والأخيران لم يخرجاعن موضوع التقريظ والثناء .

والقسم الرابع وهو الاهم دراساته في الشعر والشعراء . وفيه وجهان الوجه الأول : دراساته في الشعر القديم وهي سبع دراسات عن العصفوري ومالك بن الريب وابي طاهر والعماد الأصبهاني والعشاري والفزي ووضاح اليمن . ولنأخذ مثالاً لهذه الدراسات محاضرته عن العماد الأصبهاني : الشاعر والمؤرخ والأديب الذي عاش في العصر الأيوبي .

تبدأ المحاضرة ببيان اهمية بعث النبهاء وضرورة دراستها مهما تطاول عليها الزمن لأن عناصرها جواهر واصولها انسانية خالصة . وبيان مراتب العظمة وهي ليست قرينة بذوي السلطان ومقياس العظمة الانتاج النافع وان التاريخ من صنع النبهاء ويربط ذلك بموضوع المحاضرة .

ويذكر بعد ذلك انه معجب بمظاهر اربعة في شخصية العماد وهي : نشاطه الذهني وبعد همته وكثرة اسفاره ومشاركاته القوية في حروب الدولة العادلة وانتاجه الثقافي . وترجع هذه المظاهر الى ثلاثة عوامل رئيسية : نفسه واسرته وثقافته وبعد ان يشرح هذه المظاهر والعوامل بالتفصيل يخرج بالنتائج التالية :

١ – ان نفسه نفس عصامية

٢ – ان اسرته عربية اصيلة جذورها قرشية

٣ – خدم ثلاث دول هي العباسية في بغداد والنورية في دمشق والصلاحية في مصر

٤ – تقسيم نتاجه الى اربعة اقسام : تعليقات وكتب مترجمة وكتب مؤلفة في التاريخ وابداع في الشعر والنثر ويختم الكلام بالاعتذار عن دراسة شعر العماد ونثره لأنه يستغرق وقتاً طويلاً ولأن شعره فُقِدَ معظمه .(٢/ ٢٢)

يواضح في هذه المحاضرة لغتها العالية واسلوبها الرفيع المستوى وبناؤها المنطقي المنظم التاريخي إلا انها تفتقر الى ثبت للمراجع واشارات الى المظان وصفحات الاستشهاد وطبيعات المصادر واعتماده معيار العروبة في تقويم نتاجه وشخصه ، وميله الى تقريظ العماد لانقده وتحليل ابداعه . واغلب الظن ان هذه طريقته في التعامل مع الشعر العربي القديم بشكل عام .

اما الوجه الثاني فهو عشر دراسات في الشعر العربي المعاصر عن البناء وصالح التميمي وأنور العطار ورشيد الهاشمي والماحي والرصافي والزهاوي والأزري والشبيبي والشاعر الباكستاني محمد اقبال . ولنأخذ مثالاً من هذه الدراسات نقده لديوان ظلال الايام لأنور العطار من شعراء سوريا ، يبدأ هذا النقد بالاشارة الى ان انور العطار اهداه نسخة من ديوانه وكان يهم بالسفر الى بغداد فأنس به وهو يقطع الصحراء بين وادي بردى ووادي الفرات .

ثم استعرض موضوعات القصائد وما أثارته في نفسه من الانطباعات والذكريات كقوله : ولم يفتني ان احلم وانا يقظان بالصور الحبيبة التي تدنو اليّ او ادنو اليها رويداً رويداً من موطن اجدادي ومهد بلادي ومدرج صباي وكهولتي بين الرصافة والجسر .

وبعد ذلك يستنتج ان انور العطار شاعر من شعراء العقيدة والقلب وقليل ماهم يلتذه الحسن في البطولات وفي سمو الايمان وطهره كما تفتنه الطبيعة بوشيها وافوافها وينابيعها وظلالها وهو شاعر ليس في شعره فقار يل في علاقاته وسلوكه . ويشير الى عنوانات بعض القصائد التاريخية ويختم الدراسة بالتقاط شيء من مقدمة علي الطنطاوي لديوان يقول فيها : ان ديوان العطار « ديوان الوفاء للعربية تخل مفرداتها فاختار اطيبها

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وعرض اساليبها فاصطفى احلاها ، وديوان الوفاء لاقطارها ، وقال الاتربي وصفة ثالثة اضيفها الى جانب هاتين الصفتين من مضافات الوفاء هي انه ديوان الوفاء للطبيعة التي تحتضن الشاعر (٤٥٠/٧) وفي هذا النقد نلاحظ التركيز على الانطباعات الذاتية ، والاشارة الى السفر والاخوانيات ، وتقريظ الشعر والثناء عليه انطلاقاً من الوفاء للعروبة واقطارها والاهتمام باللغة والاسلوب وعدم الاشارة الى النصوص وتحليلها ولا الاحالة الى صفحات الديوان وطبعته وعدم عرض قصيدة كاملة ويبدو لي انه اقرب الى عرض الكتب منه الى النقد ولعل اغلب ماكتبه من الشعر المعاصر من هذا القبيل ..

النقد الادبي في شعره

والمبحث الثاني : النقد الادبي في شعره ، فقد نظم الاتربي العديد من القصائد التي تتحدث عن النظرية النقدية وتصدر احكاماً نقدية على نتاج هذا الاديب او ذاك نذكر منها :

قصائد : سيدة اللغات ، لغة مدت الظلال على الأرض ، لغة القرآن ، اللغة المهندسة المنغمة ، الفصحى رباط الوحدة ، الشعر كما اراه ، الشعر والصدق ، الشعر للحياة .. (١ / عدة صفحات)

واول ما نلاحظه على هذه القصائد انها لاتحمل عنوانات شعرية وانما هي اقرب الى عنوانات البحوث والدراسات مثل : الشعر كما اراه ، والشعر للحياة ، وحياة عمر : كتاب ومؤلف .. الخ .

والملاحظة الثانية ان بعض هذه القصائد نقد لغوي وبعضها نقد فني وبعضها في نقد الشعر النظرية والتطبيق ، ويمثل نقده اللغوي انحيازاً كلياً للعروبة والعربية ودفاعاً عنهما ونيلاً من الخصوم ويدخل في اطار الخصوم حتى اولئك الذين يدعون الى تجديدها وتطويرها التي اصطفاها الله لوحيه ..

أي قدس تقدست باسمه الفصحى
وعززت بمجده العرباء
اصطفاها من علم البشر النطق
ومنه الاصوات والاسماء
اصطفاها لوحيه وهو نورٌ
يتلالا بها ونعم الوعاء
يا لغات اسجدي ، ويا ناعق اصمت
وخديناك أيها الاتقياء .
(١ / ١٤٠)

وهي بالنسبة للذين يكتبون بالعربية ويبدعون سر ابداعهم صاحبة الفضل عليهم

سار شوطاً بنحوها سيبويه وارتقى بالبلاغة الجرجاني
وتحدى الزمخشري عداها وتناغى بها ابو الريحان
وبديع الزمان انشا المقامات .
سلام على بديع الزمان
وعلى ألف ألف فذ همام
ثاقب الفكر ألمعي هجان
عبقريون للعروبة نالوا
وتسامو بدينها والبيان
(١٣٠/١)

هذا النقد اللغوي نقد غير علمي وغير منهجي وفيه مزايدة حتى على السلف الذين يقتفي الاتربي آثارهم فقد عقد السيوطي فصلاً في مزهره حول نشأة اللغة العربية أتوقيفي هي ووحي ام اصطلاح وتواطؤ وكانت هنالك آراء واحتجاج لكل طرف تدل على حرية الرأي والروح العلمية دون دعوة للسجود للغة العربية ولا صراخ وتحد لمن يخالفهم الرأي .

واما عن النقد الفني فنجده في رقصة النار وهو نقد سريع وانطباعي منفعل ، فقد قرأ اعلاناً عن عرض فلم ايطالي بعنوان نعم للحب لا للخلاب في احدى دور السينما البغدادية في اعقاب نكسة حزيران فكتب في نقد الفلم قصيدة طويلة دون ان يشاهد الفلم فالهم العارض بالخيانة وصلته بالصهيونية ، وقد جاء في بدايتها :

بغيّ الحب من تُصبي وما تعواك في الحب
ومن طرب ـ للحبّ وغنى في لظى الحرب
عليك الألف والتفّ بل الجوب والخفّ
أي المعركة الحمراء حيث النحم الزحفّ
وحيث النهب الأفق وجن الرعد والقصفّ
وحيث اقتحم الشرك وصال البغي والعصفّ
فإما غُصب الشرك وأما أمة العرب
(١٧٤/٩)

هذا نقد للعارض وليس للمعروض واعتماداً على اعلان وليس مشاهدة للفلم وقد جاء النقد بلغة غير موضوعية (الألف والتف والجوب والخف) ولان الرقيب لم يسمح بنشرها كتب سواها يتهمها بالشعوبية وان من ذوي العاهات .. (٢٦٣/١) .

اما ما يتبقى من قصائده النقدية فمنها ماهو في نقد النثر كقصائد حياة عمر : كتاب ومؤلف واحمد تيمور وفاء وإكبار والامير شكيب ارسلان ، وهي لاتعدو ان تكون كلمات تقريظ او رثاء موزونة مقفاة ، ومنها ماهو في نقد الشعر النظرية والتطبيق ومنها ثلاث قصائد في النظرية هي الشعر للحياة والشعر والصدق والشعر كما اراه القصيدة الأولى من اوائل شعره يدعو فيها للالتزام :

الا يا أيها الشعراء انتم لدى الاحداث كالظل الظليل
اذا نزلت خطوب هائلات فانتم دائموا الخطب الجليل

ويمضي بالقائمة على الشعر التراثي :

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الموضوع	الصفحة
سيرة العلامة الأثري بقلمة.....	4
الاسم والنسب.....	5
حياته العلمية.....	6
حياته الاجتماعية والعلمية	7
المؤتمرات	8
لماذا سمي بالأثر	16
قصيدة بخط الأثري	17
شخصية محمد بهجة الأثري في شعره	20
الفكر النحوي والصرفي عند الأثري	32
هوامش البحث ومراجعه	39
محمد بهجة الأثري والنقد الأدبي	40